

د. إبراهيم محمد بيومي مهران، عوامل ومظاهر تمصير إقليم النوبة في عصر الدولة الحديثة، مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، العدد الأول: ٥ - ٥٢

### عوامل ومظاهر تمصير إقليم النوبة في عصر الدولة الحديثة

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

جامعة عين شمس - مصر

جامعة أم القرى - السعودية

#### الملخص:

بدأ المصريون منذ عصر الدولة القديمة ينظرون إلى النوبة على أنها جزء متمم لحدودهم الجنوبية، وبالتالي فقد عملوا على تأمين طرق المواصلات إليها، واستغلال محاجرها، وفتح أسواق التجارة معها، وفي الدولة الحديثة، تؤكد الفراعنة أن التهديد الذي تفرضه النوبة على مصر أمر واقع لا جدال فيه، وأن ثروة إقليم النوبة تدعم سلطتهم وسلطانهم، وتعزز من مكانتهم، فكان اهتمامهم كبيراً بضم النوبة بالفعل ودمجها مع المملكة المصرية، وكانوا من الذكاء والفتنة أن أدركوا أن الطرق الثقافية تقدم أفضل نتائج بدلاً من استخدام العنف والقمع، وكان ذلك من أهم الأسباب التي دعتهم إلى إقامة مناطق نفوذ مصري على هيئة مستوطنات، وكذا مؤسسات مصرية متنوعة في المواقع الحيوية بشتى أرجاء النوبة، وعملوا جاهدين في محاولات جادة لدمج المجتمع النوبي وتمصيره.

الكلمات المفتاحية: النوبة؛ الدولة الحديثة؛ مصر الفرعونية؛ تمصير النوبة؛ اقتصاد النوبة؛  
ديانة النوبة.



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

## **Factors and manifestations of the Egyptianization of Nubia in the Era of the New Kingdom**

**Ibrāhīm B. Mahrān**

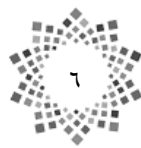
Ain Shams University, Egypt

Umm Al Qura University, Saudi Arabia

immahran@uqu.edu.sa

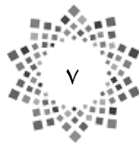
Since the Old Kingdom, the Egyptians began to view Nubia as an integral part of their southern borders, and therefore they worked to secure transport links to it, exploiting its quarries, and opening trade markets with it. In the New Kingdom, the Pharaohs confirmed that the threat that Nubia poses to Egypt is a reality in it, and that the wealth of the Nubia region supports their authority and authority, and enhances their position, so they were very interested in actually joining the Nubia and merging it with the Egyptian Kingdom, and they were smart and wise to realize that cultural methods are the best results of violence and oppression, and this was one of the most important reasons that called them to establish areas Egyptian influence in the form of settlements, as well as various Egyptian institutions in vital locations throughout Nubia, and they worked hard in serious attempts to integrate and overcome Nubian society.

**Keywords:** Nubia; the New Kingdom; Pharaonic Egypt; Egyptianization of Nubia; the Nubian economy; the Nubian religion.



ترجع علاقة مصر بالنوبة إلى أقدم العصور، فهناك منذ أخريات الألف الرابعة قبل الميلاد حوليات من عصر حور عجا (٣١٠٠ ق.م تقريباً) -أول ملوك الأسرة الأولى- تشير إلى انتصارات مصرية في الجنوب وقتذاك، وعلى أيام الملك جر (٣٠٠٠ ق.م تقريباً) -ثاني ملوك الأسرة- نقش عُثر عليه في عام ١٩٤٩م على صخور جبل الشيخ سليمان<sup>(١)</sup>، يسجل انتصاره على النوبيين<sup>(٢)</sup>، ويعتبر هذا النقش ذو أهمية خاصة في دراسة تاريخ السودان القديم، حيث إنه من النماذج النادرة التي تبين بوضوح المحاولات الأولى التي امتزج فيها التسجيل بالرسم، ويظهر على هذا النقش أمام اسم الملك جر شكل يبين أحد الأسرى مقيد اليدين من الخلف بحبل. وقد استمر تصوير الأسرى على هذه الهيئة طوال فترة العلاقات المصرية القديمة مع النوبة، وحتى نهاية حضارة مروى، وقد صور أمام الأسير شكل يشبه المياه، وهو ما يوحي بقيام معركة عسكرية بين المصريين والنوبيين في منطقة الجنادل، وأن المعركة قد دارت رحاها في النهر، بالقرب من موقع العثور على اللوحة<sup>(٣)</sup>. وعندما ازدادت العلاقات، وبخاصة في عصر الأسرة الرابعة، بدأ العمران المصري الحقيقي للنوبة منذ حملة الملك سنفرؤ (٢٦١٣-٢٥٨٩ ق.م)، ومن ثم فقد أصبحت مدينة بوهن مستعمرة مصرية بحتة. وتشير كميات البردي وأختام الأواني التي عُثر عليها هناك إلى مراسلات منتظمة مع مصر خلال عصر الأسرتين الرابعة والخامسة (٢٦١٣-٢٣٤٥ ق.م).

ومن ثم فقد بدأ المصريون منذ عصر الدولة القديمة ينظرون إلى النوبة على أنها جزء متمم لحدودهم الجنوبية، فعملوا على تأمين طرق المواصلات إليها، والحد من شغب قبائلها الفقيرة والقلقة، ومنع اعتداءاتها على مراكز الحدود المصرية الجنوبية، وعلى القوافل التجارية المتجهة إلى مصر، فضلاً عن تأمين استغلال محاجرها، وفتح أسواق التجارة مع مناطقها المأهولة بالسكان، واتخاذها وسيطاً بين مصر ومناطق السودان الغنية بمنتجاتها الطبيعية ونباتاتها وحيواناتها. غير أن فكرة استعمار النوبة أو بسط النفوذ المصري عليها لم تطرأ على أذهان ملوك مصر على الأرجح إلا على أيام الدولة الوسطى. وإن كان تريجر يعزو ذلك إلى فراغ عصر الدولة الحديثة<sup>(٤)</sup>، إلا أن الواضح هو حدوث ذلك بصورة فعلية في عصر الأسرة الثانية عشرة، وبخاصة في عهد الملك سنوسرت الثالث (١٨٧٤-١٨٥٥ ق.م) الذي اتخذ من قلعتي سمنا وقمة حداً جنوبياً لمصر، فضلاً عن تشييده لمجموعة من القلاع أو الحصون فيما بين أسوان وسمنا، ثم امتدت الحدود المصرية جنوباً حتى أطراف الجندل الثالث.



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

وعلى أيام الهكسوس (١٦٥٠ ق.م-١٥٥٠ ق.م) قامت إمارة مستقلة في النوبة امتدت من إلفنتين شمالاً حتى الجنديل الثاني عند سمنة جنوباً، واتخذت من كرما عاصمة لها، وكان على رأسها أمير متمصر عُرف باسم حاكم كوش، وله حاشية خاصة تتضمن واحداً أو أكثر من المواطنين المحليين المتمصرين<sup>(٥)</sup>.

ومع قيام الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٦٩ ق.م)، تأكد لفراعتها أن التهديد الذي تفرضه النوبة على مصر أمر واقع لا جدال فيه، وأن ثروة إقليم النوبة ككل تدعم سلطتهم وسلطانهم، وتعزز من مكانتهم. ومن هنا فقد كان اهتمامهم كبيراً بضم النوبة بالفعل ودمجها مع المملكة المصرية، وكانوا من الذكاء والفتنة أن أدركوا أن الطرق الثقافية أفضل نتائج من العنف والقمع، وكان ذلك من أهم الأسباب التي دعتهم إلى إقامة مناطق نفوذ مصري على هيئة مستوطنات، وكذا مؤسسات مصرية متنوعة في المواقع الحيوية بشتى أرجاء النوبة، وعملوا جاهدين في محاولات جادة لدمج المجتمع النوبي وتمصيره، وبالتالي فقد عملوا في البداية على عزل الزعماء غير المخلصين والذين لم يبدو عليهم التعاون مع الحكومة المصرية في سياستها الجديدة، وأحلوا مكانهم آخرين من المواليين لمصر، وفي بعض الحالات قام الفرعنة بتقسيم الأقاليم والمقاطعات النوبية الواسعة بين زعماء اختاروهم وقاموا بتتصيبهم بالفعل ومساندتهم إذا ما تطلب الأمر.

وبالرغم من ذلك فقد كان هناك البعض من سلالة ملك كوش السابق يشغلون منصب الإمارة بمنطقة إرم *Irm* وذلك في أواخر عصر تحتمس الثالث (١٤٧٩-٤٢٥ ق.م). وقد اتبع الفرعنة مع هؤلاء الحكام سياسة خاصة اعتمدت على محاولات كسب ولائهم عن طريق إعطائهم وعود بأن يحتفظوا بالسلطة الاسمية، وتشجيعهم على الحياة باعتبارهم مثل النبلاء المصريين ذوي المكانة الرفيعة.

وكان أبناء هؤلاء الحكام ينتقلون إلى البلاط الملكي الفرعوني لينالوا قسطاً من التعليم، جنباً إلى جنب مع الأمراء المصريين الصغار وأبناء كبار رجال الدولة وأبناء الحكام الأجانب من الآسيويين<sup>(٦)</sup>، وقد عُثر في قوائم الضرائب على أسماء أربعة من أبناء حاكم إرم استقدموا إلى مصر في العام الرابع والثلاثين من حكم الملك تحتمس الثالث، وأن هؤلاء الفتية على ما يبدو قد نسوا لغة بلادهم من خلال اعتيادهم التحدث مع حاشية القصر الملكي وكل من يتعاملون معه باللغة المصرية القديمة، ولذا فإن هذه السياسة المصرية كانت سبباً رئيساً



في خلق فئة جديدة من النبلاء ترتبط ثقافتهم بعلاقات صداقة شخصية من صفوة المجتمع المصري بشكل أكثر قوة من علاقاتهم الثقافية مع أبناء شعوبهم الأصلية. ولذلك فخلال عصر الدولة الحديثة كان النوبيون قد اعتادوا الحكم المصري، ولم يعودوا يفكرون في مقاومة القوات العسكرية المصرية أو إثارة المتاعب، بل كانوا على ما يبدو قد فهموا معنى التعاون مع مصر.

وتخلى السكان عن عاداتهم المتبعة في الدفن، واتبعوا أساليب الدفن طبقاً للطبقات للطبقات والتقاليد المصرية، فلم يعد جسد المتوفى يسجى على جانبه وركبته نصف مضمومتين إلى صدره (وهو المعروف بوضع الجنين)، وإنما اعتدنا على أن نرى المتوفى ممدداً على ظهره داخل تابوت خشبي أو في حفرة بدون تابوت. وكانت المقابر في تلك الفترة على أنماط ثلاثة، فهي إما حفرة مستطيلة بسيطة، أو تجويف منحوت في الصخر بغرفة دفن في القاع، أو حفرة مستطيلة بها تجويف جانبي محفور في أحد الجانبين الطويلين. أما الأثاث الجنائزي فقد أصبح لا يختلف عن النمط المصري لتلك الفترة في شيء<sup>(٧)</sup>. ومن أشهر المقابر التي تنتمي لهذه الفترة مقبرة جحوتي حتب، حيث كانت مصرية الطراز بشكل تام، وجاءت المناظر الممثلة على جدرانها معبرة بجلاء عن حياة تماثل نفس المستوى الرغد الذي كانت تعيشه طبقة من الطبقات السامية في مصر وقتها، وأنه لولا أن صاحبها قد ذكر اسمه النوبي القديم *P3 Itsy* بجانب اسمه المصري الذي يتفاخر به لاستحال تمييزه عن أي أمير من نبلاء عصر الدولة الحديثة.

وكذا كان الحال مع شقيق جحوتي حتب وخليفته الذي كان هو الآخر يحمل اسماً مصرياً هو *Imn-m-h3t* أمنمحات - بمعنى آمون في المقدمة - والذي اتخذ لنفسه مقبرة مشابهة ومجاورة لمقبرة أخيه، منحوتة أيضاً في الصخر، وعلى نفس الطراز المصري الخالص لمقابر النبلاء من عصر الدولة الحديثة، والتي يزدان بها البر الغربي للأقصر. وكان أمنمحات هذا قد توفى بدون وريث شرعي لأنه لم يُكتب له الإنجاب. ولم يُعثر على أية مقابر تنسب إلى أمراء أسرة تح خت (سرة) بعد أمنمحات هذا، إلا أنه يوجد نقش تال يؤكد استمرار هذا المنصب أثناء عصر رمسيس الثاني<sup>(٨)</sup> (١٢٧٩ - ١٢١٣ ق.م).

ولدينا من أمثلة المقابر الشهيرة للأمراء بالنوبة في عصر الدولة الحديثة مثال آخر يرجع لعصر الأسرة الثامنة عشرة وهو مقبرة الأمير حقا نضر أمير ميعام التي نحتها ضمن مجموعة من المقابر المشابهة، والتي نحتت جميعها في صخور الحجر الرملي ضمن مقابر المجموعة الثالثة

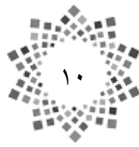


د. إبراهيم محمد بيومي مهران

C-Group بمنطقة شرقي توشكى، وتحمل مقبرته الرقم (٢٠٧) بالمنطقة، وعموماً فإن هذه المقابر جميعها تأتي أصغر حجماً وأبسط تصميماً من مقبرة حاكم النوبة أيام توت عنخ آمون (١٣٣٦-١٣٢٧ ق.م) *Imn-htp-Hwy* أمنحتب حوي والتي توجد ضمن مقابر الأشراف بالبر الغربي للأقصر، وتحمل الرقم (٤٠)<sup>(٩)</sup>.

ويستوقفنا هنا اختلاف واضح في المناظر التي على جدران مقبرة رخمى رع وزير تحتمس الثالث فيما يختص بتصوير جباة الضرائب النوبيين عن مثيلاتها التي صُورت على جدران مقبرة أمنحتب حوي -التي نُحِتت بعد الأولى بحوالي مئة عام- فمن خلال مناظر مقبرة رخمى رع نجد عدداً من جباة الضرائب النوبيين يلبسون لباساً من جلد الأسد، بينما صُورت مناظر جباة الضرائب على جدران مقبرة أمنحتب حوي حيث ظهر فيها أكثر من أربعين نوبياً من النبلاء، وهم يلبسون ملابس على الطراز المصري. وبغض النظر عن أشكالهم أو أجسادهم، فإننا نستطيع تمييزهم بسهولة على أنهم أجنبي، وذلك من خلال مظاهر عرقية مميزة مثل غطاء الرأس المصنوع من الريش، وكذلك اتشاحهم بأوشحة تميزهم. ومن المناظر المميزة على جدران مقبرة أمنحتب حوي نجد ما يمثل امرأة نوبية تعلى مركبة مصرية يجرها ثوران صغيران<sup>(١٠)</sup>.

وإضافة إلى ما تقدم فإنه في عصر الدولة الحديثة كان من الصعب أن يميز أحد بين النوبيين المتعلمين وبين المصريين الذين يعيشون في المراكز النوبية الكبرى، وكان هناك عدد كبير من الموظفين الحكوميين لا يُعرفون إلا من خلال أسمائهم المصرية فقط، بالرغم من كونهم من أصول نوبية، اعتزازاً منهم بأسمائهم الجديدة. وخلال عصر الأسرة الثامنة عشرة تحديداً كانت منازل الأمراء النوبيين تقام جنباً إلى جنب مع منازل الأثرياء والمسؤولين المصريين الكبار، من ذوي المكانة الرفيعة في المجتمع. وفي مطلع عهد أمنحتب الثالث (١٣٩٠-١٣٥٢ ق.م) كانت الإدارة المصرية على درجة عالية من اليقين بولاء وإخلاص النوبيين أبناء النوبة السفلى<sup>(١١)</sup>، حتى أنه كانت توجد كتيبة عسكرية من المحاربين النوبيين مجندة في المنطقة الواقعة بين كويان<sup>(١٢)</sup> وعنيبة<sup>(١٣)</sup>، وذلك من أجل التصدي لقبائل الصحراء الشرقية<sup>(١٤)</sup>، ومن الممكن أن نتخذ ذلك كمثال على الأدوار المتبادلة بين النوبيين والمجاي، ومن الصعب أن نُثبت أن هؤلاء النوبيين المتمصرين هم بالضرورة من سلالة زعماء المجموعة الثالثة.



ومن خلال دراسته التفصيلية لمقبرة الأمير حقا نفر، أشار سيمبسون Simpson, W.K. إلى أنه بالقرب من المقبرة وعلى جانب التلال الرملية المعروفة باسم جبل عج بمنطقة شرقي توشكى، يوجد نقش صخري أصابه التلف، يرجع تاريخه إلى عصر الدولة الحديثة، وكان يصاحبه منظر منحوت بأسلوب فني جيد، يصور خمسة محاربين يتعبدون للمعبود المصري حور سيد ميعام ومعبودها الرئيسي، والمعبود السوري رشب، ومعبود ثالث هو الملك سنوسرت الثالث<sup>(١٥)</sup>. وصاحب النقش يدعى حو ماي، ويحمل لقب مجاي جلالته، ويصوّر على لوحته وهو ممسك بغزال في إحدى يديه، بينما يحمل بيده الأخرى رمحاً وقوساً. وفي نفس المنظر نجد شقيقه الذي ذكر النص أنه يحمل لقب راعي ماشية حور معبود ميعام، وكان اسمه الوارد بالنقش هو سن نفر، ويظهر في اللوحة وهو ممسك بصندل، (ربما كان يمثل أحد منتجات الإقليم). وإلى الأسفل من اللوحة المذكورة عثر سيمبسون على مجموعة كبيرة من الشقافة، وبعد الفحص التام والدراسة اتضح أنها تشكل معاً أوان خاصة بتقديم القرابين. وكانت هذه الأجزاء من الفخار تشتمل على قطع من الأنواع المستخدمة في المقابر الجماعية *Pan-Graves* بما يدل على أن المقبرة المذكورة وما حولها من المقابر كانت تحرسها فرقة عسكرية أو أكثر من المجاي<sup>(١٦)</sup>.

وبناء على ذلك فإننا نرى أنه من غير البعيد أن أمير ميعام كان واحداً من زعماء أو رؤساء المجاي، ثم اختارته الإدارة المصرية الحاكمة ليكون أميراً محلياً على المنطقة، على فرض أنه يحمل من الصفات الخاصة ما يؤهله لذلك، حيث كانت الإدارة المصرية تختار لمثل هذه المناصب أشخاصاً يوثق بهم، ومنتظر منهم الولاء والطاعة لمصر وفراعنتها، ومن المحتمل أيضاً أنه كان هناك أمراء آخرون ممن ترجع أصولهم إلى سلالات من الموظفين من ذوي الأصل الكوشي، كان لهم نفوذ كبير في مناطق النوبة السفلى قبل خضوعها التام للسيطرة المصرية<sup>(١٧)</sup>.

ويتضح من مجريات الأمور أن إقامة عدد من المستوطنات المصرية على امتداد إقليم النوبة السفلى يقيم فيها المصريون، وكذا العمل الدؤوب على تمصير السكان النوبيين، كان هو الوسيلة الأكثر قوة وفاعلية، والتي اتبعتها فراعنة مصر في عصر الدولة الحديثة، من أجل توطيد سلطانهم في بلاد النوبة، والسيطرة التامة على مناطق الذهب بها. وقد كانت التكلفة الباهظة لإقامة هذه المستوطنات، التي ما لبثت أن تحولت إلى مناطق نفوذ مصري،

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

برهاناً على مدى الأهمية التي أولاها الفراغة للتمسك بضم بلاد النوبة - للأغراض الاقتصادية - علاوة على منع ظهور سلطة سياسية نوبية من جديد<sup>(١٨)</sup>.

ويُرجع الدكتور مهران أهم الأسباب التي ساعدت على تمصير النوبة تماماً، واستيعابها للحياة والثقافة المصرية، إلى تلك السياسة التي اتبعتها الإدارة المصرية تجاه النوبة في عصر الدولة الحديثة، فقد كانت السياسة المصرية الرئيسية هي اكتساب ولاء الزعماء النوبيين وتأييدهم، فإلى جانب تعليم أبناء أمرائهم ونبلائهم في مصر، مع ولي العهد وأبناء النبلاء المصريين وكبار الضباط ورجال الحكم والبلاط الملكي، اللغة وأساليب الحضارة المصرية، فقد كانوا ينضمون إلى هيئة كـ *Kb* العسكرية، حتى تم تمصيرهم تماماً، وهو الأمر الذي ساعد كثيراً على ولائهم لمصر ولثقافة والحياة المصرية. ومن البديهي أن ذلك كان له تأثيره - عن طريق التقليد - عند أقرانهم وأتباعهم، فيحذون حذوه، وينهجون نهجه، وأن التمصير إنما قد استهدف الطبقة الحاكمة أولاً، وما لبث أن مهد السبيل إلى التمصير السريع عند عامة القوم<sup>(١٩)</sup>.

وإن كنا نتفق مع الرأي السابق، إلا أننا نشعر بالتحفظ إلى حد ما من استخدام عبارة التمصير السريع عند عامة القوم، باعتبار أن السياسة التي اتبعتها فراغة الدولة الحديثة لتحقيق هدفهم السياسي من خلال تمصير النوبة لم تكن تتبع سياسة واحدة في التعامل مع القوم، وبشكل أكثر توضيحاً، فعلى حين كانت الوسائل التي ذُكرت توأ هي المتبعة نحو علية القوم، فقد كانت هناك وسائل أخرى مختلفة تتبع مع عامتهم، فلم يكن أبناءهم يلاقون مثل تلك المعاملة الحانية، ولم يكن الفراغة يضعون نصب أعينهم أياً من الطبقات الأدنى لتقلد مناصب رفيعة المستوى كالإمارة وقيادة الأعمال الإقليمية إلى آخره، وإنما كان الفراغة يقدمون للعامة مغريات أخرى تدفعهم إلى التمسك - كما تدل الشواهد - فكانت هناك آفاقاً أخرى تفتح للعامة، ومنها النواحي الدينية وإسباغ الأسماء والألقاب المصرية والتجنيد وفتح أسواق العمل من خلال التجارة والصناعة والزراعة، ومن هنا فقد رأيناهم صناعاتاً وتجاراتاً ومزارعين على نطاق أكبر من ذي قبل - وإن كانت الدلائل تؤكد أنهم كانوا يبيعون في أعمالهم من خلال الخضوع لإشراف مصري كامل. وما لبث أن رأينا العامة - فضلاً عن الخاصة - يتفخرون بأسمائهم المصرية، ويغيرون من دياناتهم معتنقين الديانة المصرية ومقدسِين لمعبوداتها من خلال المعابد المصرية الجديدة بشتى أنحاء النوبة السفلى بوجه





خاص، ومتأزلين عن عاداتهم القديمة في دفن الموتى، حيث استبدلوها بعادات مصرية خالصة، إضافة إلى اتباع الوسائل الحضارية في معيشتهم الدنيا بما يتشابه مع أقرانهم في مصر.

وعلى ما يبدو، فإن حصول النوبيين على قدر كاف من التعليم كان يؤهلهم لتقلد مناصب رفيعة في المجتمع، وهو الأمر الطبيعي في أية مجتمعات متحضرة، إضافة إلى اختيار أنماط بعينها لتقلد المناصب الأكثر رفعة. ويقدم الدكتور نجم الدين شريف مثلاً يدعم ذلك، ويتمثل في تمثال صغير بمتحف الخرطوم للمدعو أمنمحات أمير *Th-ht* تح خت (سرّة)، وهو شقيق وخليفة أميرها السابق جحوتي حتب الذي ورثها عن أبيه، ويدلنا التمثال على أن صاحبه كان يعمل كاتباً في بوهن، قبل أن يصبح أميراً على تح خت، وهو ما يشير إلى أن الطبقة المتعلمة النوبية كانت أيام الدولة الحديثة تسهم في إدارة النوبة إلى جانب المصريين<sup>(٢٠)</sup>.

ومن جانب آخر، فقد كان اهتمام فراعنة عصر الدولة الحديثة بإقامة أكبر عدد ممكن من المستوطنات المصرية بالنوبة أمراً مؤكداً بالشواهد والأدلة الأثرية المتعددة، بما لا يدع مجالاً للشك، الأمر الذي أدى إلى تكبدهم في البداية لنفقات باهظة، ولكنها سرعان ما حققت لهم أهدافهم من وراء إقامتها إلى حد بعيد. وقد كانت الأهداف السياسية والعسكرية هي التي تقودهم إلى تحديد مناطق هذه المستوطنات، والتي ما لبثت أن تحولت إلى مناطق للنفوذ المصري بالنوبة، كما كان القيام بغرس عبادة مصرية داخل كل مستوطنة جديدة كاف جداً لدمج النوبيين روحياً وثقافياً في المملكة المصرية، كما كان لوجود المعابد المصرية الكبرى أثر كبير في إعطاء الفراعنة الإحساس بالأمن في المناطق النوبية الخاضعة لسيطرتهم، كما كان من جانب آخر وسيلة لترهيب النوبيين.

وكانت المعابد المصرية بالنوبة تتلقى الهبات من كل الأقاليم المجاورة لها، وكان لعدد من هذه المعابد السلطة في جباية الضرائب على السلع التي تنتجها الأقاليم التي تقع بها والأقاليم المجاورة أحياناً، وكذا السلع التي تمر بالإقليم عبر نهر النيل، وكانت هذه الأموال يتم إنفاقها من خلال عدد من القنوات تشمل الكهنة والإدارة الحكومية والخدم ورجال المحاجر وبناء السفن والحرفيين والمزارعين<sup>(٢١)</sup>.

وتؤكد الأدلة الأثرية أن المعابد المصرية بالنوبة كانت في مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة مشيدة من كتل صغيرة من الأحجار، وكانت تشمل قدساً للأقداس وحجرات جانبية



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

ودهليزاً، وفي بعض الحالات كان يتم توسعتها بإضافة صفة أو صفتين من الأعمدة، وفناء واسع مفتوح ومدخل بسيط. وبالرغم من صغر حجم هذه المعابد عن مثيلاتها بمصر، إلا أنها كانت أحياناً ما تزين بنقوش ومناظر رائعة.

ويلاحظ أن المعابد التي تم تشييدها بالنوبة كانت في البداية في نطاق القلاع والحصون الكبرى التي يرجع تاريخ تشييدها إلى عصر الدولة الوسطى<sup>(٢٢)</sup>، التي جردها ورممها الفراعنة منذ مطلع عصر الدولة الحديثة.

وتشير الأدلة والشواهد إلى اتساع عمراني كبير في عنيبة وبوهن حول الحصون والقلاع التي تم جددت ورممت، وردمت جميع الخنادق التي كانت قد حُفرت حول بوهن في سبيل التوسعات الجديدة<sup>(٢٣)</sup>، وفي البداية كانت هذه المستوطنات المتسعة محصنة بشكل كامل، من خلال إحاطتها بعدد من الحصون والقلاع يمكن معد استخدامها كنقاط هجومية ومراكز دفاعية. إلا أننا نلاحظ أن الأسوار التي شُيّدت في عصر الدولة الحديثة لتشمل مساحات أكبر، كانت أقل ارتفاعاً وسمكاً من سابقتها، والتي كانت تحيط بالحصون والقلاع فقط، وذلك لأن الأسوار الجديدة تعتبر مدنية في استخدامها، أما أسوار الدولة الوسطى فقد كانت مشيدة لأهداف عسكرية خالصة.

وفي كل من بوهن وعنيبة انتشرت مساكن عامة الناس، وبخاصة في المناطق المحيطة بالقلاع والحصون، كما انتشرت الحقول ومخازن الغلال، وبخاصة في عنيبة، وهذه المستوطنات قد دُفنت منذ فترة طويلة تحت أكوام الرمال بالقرب من المدن الكبرى<sup>(٢٤)</sup>. وفي بوهن توجد أطلال معبد صغير منحوت في الصخر يُنسب للملكة حتشبسوت، وكذا أطلال معبد آخر وملحقاته يُنسب للملك توت عنخ آمون. وكانت فرس مقراً دينياً كبيراً يسيطر على عدد من القرى التي يقوم سكانها بنشاط زراعي كبير في أراض شديدة الخصوبة<sup>(٢٥)</sup>.

وبعد فرض النفوذ المصري على النوبة بفترة ليست بالبعيدة، أصبحت القلاع التي تنتشر حول المستوطنات المصرية تستخدم لأغراض أخرى تؤكد استقرار الأمور، حيث أصبحت مهامها قاصرة على إقرار الأمن بالمستوطنات، في تطور إيجابي يؤكد نجاح سياسة التمصير من خلال التأقلم التدريجي للسكان النوبيين على معاملة المصريين إلى درجة وصلت فيها العلاقة بين الطرفين إلى مرحلة الانصهار، ولم يعد دور القلاع يتخطى قيامها بالحفاظ على النظام والأمن الداخلي فقط، وكان ذلك هو السبب الرئيس، على ما يبدو، لبناء الأسوار



القريبة التي كانت تحيط بالمباني الكبيرة ومنازل السكان بمنطقة شمال أسوان<sup>(٢٦)</sup>.

وفي تأكيد لنجاح سياسة فراعنة الدولة الحديثة نحو تمصير النوبة - الأمر الذي قد كبدهم في البداية لنفقات باهظة، فقد أصبحت المدن الكبرى بالنوبة السفلى واوات منذ حوالي منتصف عصر الدولة الحديثة، تتميز إلى حد كبير، مثل العاصمة المصرية طيبة ومعظم المدن المصرية الكبرى، بانتشار المباني والمنشآت الحكومية والمعابد والقصور والمنازل، إضافة إلى إحاطتها بالقرى والحقول، وحتى في أماكن الدفن ووسائله وأشكال المقابر أيضاً. ومن الواضح كذلك أن المدن الكبرى بالنوبة السفلى كانت في هذا العصر تتشابه إلى حد بعيد مع العواصم الإقليمية الكبرى بمصر في العديد من نواحي التخطيط والتنظيم العمراني<sup>(٢٧)</sup>.

ومن مظاهر تمصير النوبة، فإنه بعدما تمكن فراعنة الدولة الحديثة من بسط النفوذ المصري على إقليم النوبة العليا كوش فإن القلاع والحصون المصرية في منطقة الجندل الثاني، قد بدأت تفقد أهميتها الاستراتيجية التي شُيدت من أجلها في عصر الدولة الوسطى، وأنها لم تعد تمثل أكثر من محطات تجارية في عمليات النقل التجاري، صعوداً وهبوطاً في هذه المنطقة الوعرة من نهر النيل.

وفي خلال عدة سنوات من تطبيق فراعنة الدولة الحديثة لسياستهم نحو تمصير النوبة فإن القلاع والحصون الكبرى المعروفة بالمنطقة - والتي كان لها تاريخ سياسي معروف وبخاصة في عصر الدولة الوسطى - مثل شلفك وميرجيسا يبدو أنها قد أهملت، حتى أن الشواهد والأدلة الأثرية تشير إلى أن ميرجيسا تحديداً قد هُجرت في أيام تحتمس الثالث<sup>(٢٨)</sup>. أما عن أوروبارتي وقمة، فقد شُيد بكل واحدة منها معبد، ولكن على ما يبدو فإنه لم يكن يسكنهما في هذه الفترة أكثر من مجموعة من الكهنة ورفقتهم عدد من الخدم، إضافة إلى عدد قليل جداً من السكان المدنيين. وأما عن سمنا فقد اختلف الأمر بها، حيث تدلنا شواهد الآثار على أنه كان يسكنها في هذه الفترة حامية كبيرة من العسكريين، إضافة إلى سكانها المحليين، وشيد تحتمس الثالث شيد بها معبداً صغيراً<sup>(٢٩)</sup>.

وبالإضافة إلى المعابد التي تم تشييدها في مناطق القلاع والحصون بالنوبة السفلى في عصر الدولة الوسطى، فقد شيد فراعنة الدولة الحديثة مجموعة أخرى من المعابد في عدد من المناطق التي كانت تتمتع بتربة زراعية خصبة على امتداد الإقليم بأكمله. وبوجه عام فإنه لم

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

يصلنا بعد أي دليل مادي من خلال الآثار على وجود أية مستوطنات مصرية رئيسية بالقرب من هذه المعابد الجديدة، والتي كانت على ما يبدو بمثابة مراكز لنشر وتدعيم الديانة المصرية القديمة بمعبوداتها وطقوسها بين السكان البسطاء. ومما لا شك فيه، فإن مهمة تطبيق الشعائر الدينية والطقوس بهذه المعابد الجديدة كان يتولاها كهنة مصريون، على الأقل في فترة السنوات الأولى لفرض النفوذ المصري على النوبة<sup>(٣٠)</sup>. وتتميز هذه المعابد الجديدة بأنها كانت صغيرة الحجم نوعاً، وأنها كانت جميعها محاطة بأسوار لحمايتها، مما يشير إلى أن فراعنة الدولة الحديثة قد تمكنوا من السيطرة على منطقة النوبة السفلى بشكل عام، وأنهم قد أقروا الأمن بأراضيها<sup>(٣١)</sup>.

وفي الفترة الممتدة من عصر تحتمس الأول وحتى عصر تحتمس الثالث، تم تشييد عدد من المعابد المتفرقة في كل من كلابشة ودكا وقرطة. وفي عصر أمنحتب الثاني شُيد معبد ضخم في عمدا. وفي فرس شيدت الملكة حتشبسوت مجموعة من المعابد الدينية والمقاصير المنحوتة في الصخر، والتي كانت تضم بداخلها، إضافة إلى قدس الأقداس، عدداً من الحجرات الجانبية. وفي الليسية شيد تحتمس الثالث معبداً، بينما شيد حور ام حب معبداً آخر في منطقة جبل السلسلة بين إدفو وكوم امبو، صور عليه عودته من النوبة منتصراً وهو يسوق الأسرى من النوبيين<sup>(٣٢)</sup>.

وبالإضافة للمعابد المذكورة، والتي كانت إحدى وسائل فراعنة الدولة الحديثة نحو تمصير النوبة، عاصرتها في نفس الفترة الزمنية منحوتات صخرية أخرى تتمثل في مجموعة كبيرة من المقاصير واللوحات والنقوش الصخرية التي تحولت مع مرور السنين إلى أطلال، وذلك في مناطق المنحدرات الكبيرة، وبوجه خاص في كل من أبريم وجبل عج، والتي يرجع تاريخها إلى مطلع عصر الدولة الحديثة.

وكانت منشآت رعمسيس الثاني الضخمة بالنوبة تشمل عدداً من المعابد بالنوبة السفلى، تقع جميعها عند المنحدرات الصخرية الشديدة، ولا شك في أن أكبر هذه المعابد وأكثرها جمالاً وفضامة هو المعبد الكبير<sup>(٣٣)</sup> بمنطقة أبي سمبل غربي النيل، وعلى ذلك فإن الاحتمال قائم على أن العمل قد بدأ فيه منذ عهد والده الملك سيتي الأول<sup>(٣٤)</sup>، وتزين جدران المعبد نقوش ملونة تصور احتفالات دينية وتسجل أحداثاً سياسية هامة كحملات الملك العسكرية وأشهرها مناظر معركة قادش التي خاضها الملك ضد الحيثيين، وكذا حملات



إلى بلاد النوبة<sup>(٣٥)</sup>. وعلى بعد مسافة قصيرة جداً شمالي المعبد شيد رعمسيس الثاني معبداً آخر منحوت في الصخر باسم زوجته نفرتاري، وخصصه لعبادتهما إلى جانب المعبودة الكبرى حتحور. وشيد أيضاً في شمالي أبي سمبل عدداً من المعابد المنحوتة في الصخر في كل من الدر ووادي السبع وجرف حسين وبيت الوالي، ويعد معبده في وادي السبع أكبر معابد الدولة الحديثة المفتوحة بالنوبة السفلى. وكان معبد جرف حسين مخصصاً لتقديس ثالوث منف المكون من المعبودات بتاح وسخمت ونفرتوم، وكان تشييد المعبد قد تم تحت إشراف حاكم النوبة في عصره المدعو ستاو وكان على طراز المعبد الكبير بمنطقة أبي سمبل ولكن في صورة أكثر بساطة من خلال التشييد والزخرفة. أما إلى الجنوب من أبي سمبل فقد شيد رعمسيس الثاني معبداً في عكشة على نفس الطراز الذي اتبعه في تشييد معابده الصخرية في مصر والنوبة<sup>(٣٦)</sup>.

ونعتقد أنه ليس هناك اعتراضات مقبولة حول الآراء التي تذهب إلى أن رعمسيس الثاني قد اعتمد على سواعد أسراه للمعاونة كعمال إلى جانب رجاله في إنجاز معابده بالنوبة، خاصة وأن هناك إشارات كثيرة تدل على أن هناك ملوك مصريين آخرين وهبوا أعداداً كبيرة من الأسرى للعمل على خدمة المعابد، ومنهم على سبيل المثال رعمسيس الأول الذي وهب أعداداً كبيرة من أسراه من النوبيين لمعبد بوهن، ومن غير المستبعد أنه كان من بينهم الحرفيون والعمال، على أن جميع المنشآت تم إنجازها بتخطيط وتحت إشراف مصري خالص<sup>(٣٧)</sup>. ويبدو أن الأسرى من الآسيويين والليبيين كانوا يستخدمون في مناطق النوبة إما لفترات قصيرة يؤدون خلالها مهاماً معينة، أو لفترات طويلة حيث يستقرون في أماكن المعابد، وكان لذلك الأمر بالغ الأثر في خلق نوع من المحبة والتآلف بين أجناس متعددة<sup>(٣٨)</sup>.

أما عن المصادر الأثرية التي تمدنا بالمعلومات عن بسط النفوذ المصري على إقليم النوبة العليا كوش فهي قليلة، ولا تقارن أبداً مع مثيلاتها المتعددة التي تتعلق بالأمر فيما يختص بالنوبة السفلى واوات. وتؤكد الآثار التي مازالت أطلالها قائمة بالنوبة العليا أن عدداً من المعابد المصرية بها قد تم تشييدها باستخدام كتل من الأحجار الرملية، وليس عن طريق النحت في الصخر كما في حال معظم معابد النوبة السفلى، وأن عدداً من معابد النوبة العليا، بالإضافة إلى مجموعة من المخازن المرتبطة بمنشآت إدارية، كانت جميعها محاطة بأسوار مرتفعة، وكانت المباني الملحقة بها قد بنيت بقوالب من الطوب اللبن، وكانت الأسوار تشمل

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

بوابات مصنوعة من كتل الأحجار الصلدة، وأبراجاً مربعة عن كل ركن من أركانها، وعلى جانبي المداخل الرئيسية<sup>(٣٩)</sup>. وربما كان وجه الشبه الوحيد بين المعابد في النوبة العليا وبين مثيلاتها في مصر والنوبة السفلى في نفس الفترة، هو اتباعها جميعاً لطراز واحد في التصميم، بالرغم من اختلاف أسلوب التنفيذ ما بين النحت في الصخر والبناء باستخدام كتل الأحجار والذي اتبع في معابد النوبة العليا بشكل عام.

وهناك ظاهرة كانت منتشرة في المستوطنات المصرية بالنوبة العليا، وهي زيادة واضحة في امتداد الأسوار لتشمل المعابد والمباني الملحقة بها، بالإضافة إلى المدن ذاتها، وكانت تتخلل الأسوار شوارع ضيقة متقاطعة. وربما أن ضم الأسوار للمنازل بداخلها تشير إلى أن سكانها من المصريين قد قاموا بذلك طلباً للأمان والاستقرار، ويشير إلى أنهم كانوا يواجهون تهديدات من نوع ما. ويبدو أن مدن المعابد قد قامت بأداء نفس العمل الذي كانت تقوم به القلاع والحصون من قبل، حيث كان الغرض من إقامتها على ما يبدو هو أن تمتد خدمتها إلى أقصى الشمال.

وكان اتساع المستوطنات المصرية واضحاً في عمارة غرب المناطق المجاورة لها. وقد اعتبر كمب *Kemp.B* في أثناء تعرضه للموضوع، أن هذه المستوطنات تعد العمود الفقري للحياة المدنية بالنوبة في عصر الدولة الحديثة، والذي كان له دورها المباشر في تمصير بلاد النوبة باعتبارها مراكزاً مباشرة لعرض التقاليد المصرية، ومن ثم إسباغ المجتمع النوبي البسيط بمظاهرها<sup>(٤٠)</sup>.

ويلاحظ أن معظم الشواهد الأثرية التي عثر عليها بالنوبة العليا يرجع تاريخها إلى عصر الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وقد عثر عليها في المنطقة الواقعة بين الجندل الثالث جنوباً ودال (بين الجندل الثالث والثاني) شمالاً، وأقصى موقع شمالي لهذه المدن كان عمارة - غرب<sup>(٤١)</sup> التي ظلت خاضعة للنفوذ المصري - كما تدلنا شواهد الآثار - بشكل متصل حتى نهاية عصر الدولة الحديثة، والتي يتفق المؤرخون تقريباً على أنها كانت مركزاً رئيساً للإدارة بالنوبة العليا.

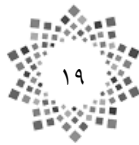
ويؤيد الدكتور بكر هذا الرأي، ويضيف إلى ما سبق أن ملوك الدولة الحديث أقاموا عدداً من القرى المحصنة في عمارة غرب وصاي<sup>(٤٢)</sup> وسدنقة (سدنجة)<sup>(٤٣)</sup> وصلب (صولب)<sup>(٤٤)</sup> وسيسبي<sup>(٤٥)</sup>، كان الغرض منها هو حماية المنطقة من غارات القبائل التي كانت تقطع



الصحراء الغربية، وتهدد بين حين وآخر بقطع طرق المواصلات التجارية. وعندما أجريت حفائر أثرية في موقع عمارة غرب في العامين ١٩٣٩ و١٩٤٧م فقد تبين أنه كان من المراكز الهامة التي أقيمت في عهد الملك سيتي الأول (١٢٩٤-١٢٧٩ق.م)، وكانت مقراً للقائم بأعمال حاكم النوبة - نائب الملك في كوش، وتم اختيار مكانها لأنها تشرف على الطريق الصحراوي من نهر النيل إلى واحة سليمة - بالصحراء الشرقية. أما سيسبي فقد كشف عن آثارها كل من بلاكمان وفيرمان في العام ١٩٣٧م وتبين أنها مدينة أنشأها أمنحتب الرابع (اخناتون) (١٣٥٢-١٣٣٦ق.م) في هذا الموقع لتكون منطلقاً للتبشير بعقيدة التوحيد التي تزعمها. كما أسس أمنحتب الثالث (١٣٩٠-١٣٥٢ق.م) مدينة كوة<sup>(٤٦)</sup> بمعبدها الشهير، وهناك أيضاً أقام توت عنخ آمون (١٣٣٦-١٣٢٧ق.م) معبداً. ولعل أول ذكر لمدينة نبتة<sup>(٤٧)</sup> (نباتا) في التاريخ المصري كمدينة محصنة تقع في أقصى الجنوب أن يكون أيام أمنحتب الثاني (١٤٢٧-١٤٠٠ق.م). وتشير أقدم آثار البناء في كوة إلى أن تحتمس الرابع (١٤٠٠-١٣٩٠ق.م) كان أول من شيد في تلك المنطقة، بينما عثر بالموقع على لوحة من عصر تحتمس الثالث<sup>(٤٨)</sup> (١٤٧٩-١٤٢٥ق.م).

وعن الأهمية الكبيرة التي تنسب لأعمال الملك رمسيس الثاني المعمارية بالنوبة وأثرها المباشر في تمصير الإقليم يرى الدكتور بكر أن سلسلة المعابد الصخرية في بيت الوالي وجرف حسين ووادي السبوع والدر وأبي سمبل التي أقامها رمسيس الثاني في منطقة النوبة السفلى إنما تشير إلى المحاولات الجدية لنشر الحضارة المصرية في ربوع تلك البلاد، إذ قامت تلك المراكز الحضارية التي انتشرت في بلاد كوش بدور الوسيط في نقل نماذج ملموسة من نتائج الحضارة المصرية المتطورة لتكون في متناول أهل البلاد. وفي مقابر أهل تلك المنطقة عُثر على كثير من السلع المصرية، جلبها إليهم التجار المصريون الذين شاركوا بنصيب في نشر الحضارة المصرية بالنوبة<sup>(٤٩)</sup>.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن فراعنة الدولة الحديثة، كما تدل الشواهد، إنما قد اعتمدوا بشكل كبير على قوة وتأثير الناحية الروحية متمثلة في الجانب الديني، وذلك كمدخل رئيس ينفذون منه إلى قلب المجتمع النوبي، وبخاصة مع ما عهدناه من القوة في تأثير الديانة المصرية القديمة، والتي نبتت بمصر منذ أقدم العصور متزامنة مع التاريخ المصري منذ فجره، حتى أن الملوك المصريين في تعاملهم مع شعبهم كانوا دائماً ما يعتمدون على هذا العنصر،



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

وبخاصة في حالات انتقال العرش بصورة غير شرعية، كما في حالات الملوك من غير أصحاب الدماء الملكية، وأيضاً توطيداً لسلطة الملك من خلال ظهور ما عرف بظاهرة الملكية المؤلّفة<sup>(٥٠)</sup>، وما كانت تقوم به من إقرار شرعي لحكم عدد من الملوك، اعتبر الواحد منهم بمثابة الوسيط بين الآلهة والناس ولاسيما آلهة الطبيعة المصرية (الشمس والنيل)، التي اعتبرها المصري مصدرراً لما يتمتع به من خير ورخاء، لأن الملك بزعامته لرعاياه يمثل السلطة التي توجه الناس نحو استغلال إمكانيات الطبيعة المصرية بما فيها من خير ورخاء. وقد عبر المصريون عن تأليه الملك بأن اعتبروه وريثاً لآخر من حكم من الآلهة وهو الإله حورس<sup>(٥١)</sup>.

وعلى ما يبدو فقد كان الفراعنة محقين إلى حد بعيد في اتجاههم إلى الاعتماد على الجانب الديني، والذي كبدهم بما لا يدع مجالاً للشك الكثير من الأموال والجهود في سبيل تشييد هذا العدد الهائل من العابد الدينية على امتداد إقليم النوبة، والذي أدى إلى نشر العقائد الدينية والثقافية المصرية بشكل كبير ومباشر، وكان له نتائج هامة يمكن للباحث أن يعدد أهمها. فمن ناحية تعرف النوبيون البسطاء على المعبودات المصرية الكبيرة وعلى طقوس الديانة المصرية بصورة مباشرة انتهت بهم إلى اعتناقها. ومن ناحية ثانية فقد غير النوبيون من عاداتهم في الدفن، وأصبحوا يدفنون موتاهم على الطريقة المصرية، وشمل ذلك ظهور مقابر جديدة على غرار مثيلاتها بمصر، وبخاصة المقابر التي ينتمي أصحابها لطبقة أكثر رفعة كالحكام، والذين تركوا لنا مقابر غنية بالمناطير والرسوم والنقوش التي تماثل مقابر نبلاء عصر الدولة الحديثة بالبر الغربي بالأقصر<sup>(٥٢)</sup>. ومن ناحية ثالثة فقد أصبح النوبيون يدينون بشكل ملموس بالولاء والطاعة للمعبودات المصرية. ومن ناحية رابعة تغيرت نظرة النوبيين تجاه الفراعنة، فبدلاً من أن يروهم في ثوب الغزاة المستعمرين، أصبحوا ينظرون إليهم على أنهم رعاتهم ووسيلتهم التي ستؤدي بهم إلى الخلود بعد الموت، طبقاً للعقائد الدينية المصرية. ومن ناحية خامسة فقد أدى بهم الانغماس في ممارسة وتطبيق الشعائر الدينية على الطريقة المصرية إلى التحول التدريجي نحو التمصر، وكان هذا هو نهاية المطاف بهم، وهو الأمر الذي أكدته لنا شواهد الآثار، ولا سيما من خلال مقابرهم وما تبقى من ملابسهم وأمتعتهم وأدواتهم. ومن ناحية سادسة نشأت مراكز دينية كبرى بالنوبة لمعبودات مصرية كبرى، مثل نباتا التي أصبحت مثل طيبة مقراً رسمياً للمعبود الرئيس بالدولة آمون رع.

وهكذا تحقق لفراعنة الدولة الحديثة ما كانوا يتطلعون إليه، ونجحوا إلى حد بعيد في





تمصير إقليم النوبة وذلك بعد ما كانوا قد أدركوا أنَّ التهديد الذي تفرضه النوبة على مصر كان في مطلع عصر الدولة الحديثة بمثابة الأمر الواقع، وأن ثروة إقليم النوبة تمكنهم من تدعيم سلطتهم وتقوية مركزهم أمام جيرانهم، وأنهم لابد وأن يسعوا إلى ضم النوبة ودمجها مع الأقاليم المصرية، وهو الأمر الذي خططوا له ونفذوه بكل ما يملكون من خبرات وتجارب سياسية وحنكة إدارية. وعلى أي حال فقد تم للفراعنة، كما أكدت الشواهد الأثرية المتعددة وبما لا يدع مجالاً للشك، استعمار النوبة وتمصيرها، رغم أنه يصعب القول إلى أي حد أمكن تمصير البدو الرحل<sup>(٥٣)</sup>.

#### اقتصاديات النوبة:

أصبحت اقتصاديات النوبة خلال عصر الدولة الحديثة أكثر تعقيداً عما كانت عليه من قبل، وقد قامت الإدارة المصرية عقب فرض النفوذ المصري على النوبة منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة بتعديلها لكي تتماشى مع النظم الاقتصادية المعمول بها في مصر<sup>(٥٤)</sup>. ونستطيع أن نستنتج أهمية النوبة على أيام الدولة الوسطى من خلال قوائم الجزية المنقوشة على جدران المعابد المصرية، فضلاً عن السلع المصورة على جدران المقابر، وبخاصة مقابر الموظفين المصريين الذين كانوا مسؤولين عن إحضارها للفرعون<sup>(٥٥)</sup>.

وبالرغم من استمرار أهمية كل من الرعي والصيد، وبخاصة في المناطق غير الخصبة، فإن جانباً كبيراً من القطيع ومن ناتج ال صيد كان يخصص بشكل إجباري للحكومة المصرية، وللمعابد الدينية. كما أن النظام القبلي النوبي الذي وضع من قبل نظام ملكية الأراضي قد استبدل في هذه الحقبة التاريخية ليحل محل نظام الإقطاعيات المصري، والذي يؤدي إلى خلق طبقات متفاوتة في المجتمع، وهكذا فقد وجد معظم النوبيين أنفسهم يعملون في أراضي يمتلكها الفرعون نفسه أو أمراء محليين أو رجال الإدارة الحكومية. ومن ناحية أخرى، فإنه إضافة إلى العدد الكبير من المعابد التي شيّدت بالنوبة، فإنه كان هناك معابد أخرى بمصر أوقفت عليها إقطاعيات كاملة أو أجزاء من إقطاعيات من الأراضي النوبية وحق الانتفاع الكامل بإنتاجها، إضافة لذلك فقد فرض الفراعنة الضرائب على كل الإقليم بصفته واحداً من الأقاليم المصرية، التي تدفع كلها الضرائب لصالح الخزانة الملكية بطيبة. وقد عُثر على نقش صخري بمنطقة الجندل الثالث ورد به أن سيتي الأول قد خصص لمعبده الجنائزي في أبيدوس قطعة أرض في النوبة كوقف خاص بالمعبد، وكان هذا التخصيص

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

يشمل امتيازات أخرى لاستغلال الأرض المذكورة منها حق استخلاص الذهب<sup>(٥٦)</sup>.

وبوجه عام فإن فرض النفوذ المصري على النوبة في عصر الدولة الحديثة كان له آثار سياسية واقتصادية ناجحة ومثمرة، وعلى الجانب الاقتصادي أصبحت مصر تحصل الضرائب التي حددتها بنفسها وأقرتها، ومن ناحية أخرى فقد أصبحت جميع السلع والمنتجات التي كانت تشتريها مصر من النوبة، تصل إلى مصر دون مقابل يذكر. ومن هنا فليم يعد للوسطاء من النوبيين أي دور في ذلك الأمر، كما كان يحدث من قبل على مدى امتداد العلاقات التجارية بين مصر والنوبة منذ أقدم العصور حتى هذه الفترة، وتلاشى وجود هؤلاء الوسطاء فيما بعد بشكل تام، ثم أدى ذلك إلى زيادة هائلة في نسبة الأرباح التي تدخل إلى الخزنة الملكية بشكل واضح<sup>(٥٧)</sup>.

ومن أهم السلع والمنتجات والمواد التي اشتهرت النوبة بتصديرها إلى مصر على مدي التاريخ القديم نجد الذهب<sup>(٥٨)</sup> هو الأكثر قيمة وأهمية بالدرجة الأولى، وبحيث يتربع على رأس القائمة، يليه مباشرة العاج، ثم خشب الأبنوس، وأنواع أخرى من الأخشاب الجيدة، وريش النعام وبيضه وجلد النمر والزيت والصبغ والعمود والنحاس والأحجار الكريمة وعلى رأسها العقيق الأحمر والفيروز والملاخيت والأماطيس والهيمايت، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الحيوانات مثل الأبقار والتمور والكلاب والقرود والزراف<sup>(٥٩)</sup>. وفي أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة تقريباً، كان كل ما تنتجه النوبة من السلع والمنتجات الخشبية والجلدية وبعض المنتجات المعدنية، يرسل بكامله إلى مصر، وكان من يبين هذه المنتجات كراسي خشبية وأسرة وأرائك ومناضد، وكذا دروع وأقواس ورماح، وأوان معدنية متنوعة، ويحتمل أيضاً أن النعال الجلدية كانت ضمن المنتجات المصرية أيضاً.

وبينما كان للنوبيين دورهم في إنتاج وصناعة السلع المصدرة إلى مصر، إلا أنه من الملاحظ أن صناعتها جاءت في معظمها تقريباً على الطراز المصري المميز، بما يؤكد أنها كانت من صنع -أو على الأقل تحت إشراف- حرفيين مصريين مقيمين بالنوبة. كما سجلت أنواع من الغلال والحبوب كانت قد سجلت ضمن قوائم الضرائب المحصلة من واوات وكوش<sup>(٦٠)</sup>. وقد اشتهر فراغة الدولة الحديثة بين جيرانهم من الملوك وبخاصة في شرقي البحر المتوسط، بامتلاكهم لمصادر الذهب الواسعة، وكانت شهرتهم قد ازدادت بازدياد سيطرتهم على هذه المصادر. وفي مصر كان الذهب يعدُّ من أهم العناصر التي يشتمل عليها الأثاث



الجنائزي للملوك والنبلاء والأثرياء، إضافة لاستخدامات الذهب الدنيوية المتعددة مثل تقديمه كهبات للمعابد، واستخدامه في صنع القلائد والأساور وأنواع الحلي والتمائيل الصغيرة المصنوعة من الذهب الخالص، والتمائيل الخشبية والأثاث المغطى بطبقة من رقائق الذهب، إلى آخره من الاستخدامات الشائعة. وكذا فقد كان الفراعنة يقدمون القلائد الذهبية الجميلة بصفتها هدايا عينية للأقرباء من الأمراء والأميرات وللمقربين. وفي عصر الدولة الحديثة حصلت مصر على نصيب هائل من إنتاج الذهب في النوبة، ولذلك نرى أنه حتى وإن كانت الرغبة في استغلال مناجم الذهب بالنوبة لم تكن أحد أسباب فرض النفوذ المصري على الإقليم، فإن أهمية الذهب لا بدَّ وأنها كانت أحد مقومات التمسك المصري بالحفاظ على السيطرة التي فرضت بالفعل على النوبة. وقد تحملت مصر مشقة توسعة ومضاعفة إنتاج الذهب في النوبة. ونلاحظ أن مقدار الذهب المسجل في قوائم الجزية أيام تحتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٢٥ ق.م) يبدو أضعافاً كثيرة أمام سلع أخرى وردت بالقائمة، ويقدم لنا إمري هذه القائمة - كما جاءت في حوليات تحتمس الثالث كالتالي:

#### أولاً: جزية النوبة السفلى واوات:

- العام ٣١: ٩٢ بقرة + حصاد واحد.
- العام ٣٣: ٢٠ عبداً + ١٠٤ بقرة + حصاد واحد.
- العام ٣٤: ٢٥٤ دبتاً من الذهب + ١٠ عبيد + عدد غير معروف من الماشية.
- العام ٣٥: ٣٤ عبداً + ٩٤ رأساً من الماشية + حصاد واحد.
- العام ٣٨: ٣٨٤٤ دبتاً من الذهب + ١٦ عبداً + ٧٧ رأساً من الماشية.
- العام ٣٩: ٨٩ رأساً من الماشية + عدد غير معروف من سن الفيل وأبنوس.
- العام ٤١: ٣١٤٤ دبتاً من الذهب + ٣ قدت من الذهب + ١١٤ رأساً من الماشية.
- العام ٤٢: ٢٣٧٤ دبتاً من الذهب + قدت واحد من الذهب + حصاد واحد.

#### ثانياً: جزية النوبة العليا كوش:

- العام ٣٤: ٣٠٠ دبتاً من الذهب + ٦٠ عبداً + ٢٧٥ رأساً من الماشية + عاج وأبنوس.
- العام ٣٥: ٧٠ دبتاً من الذهب + قدت واحد من الذهب + عدد غير معروف من العبيد + ماشية + عاج وأبنوس + حصاد واحد.



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

- العام ٣٩: ١٤٤ دبنًا من الذهب + ٣ قدت من الذهب + ١٠٠ عبدًا + زنجي واحد وعدد غير معروف من الماشية.
- العام ٤١: ٩٤ دبنًا من الذهب + ٢ قدت من الذهب + ٢١ عبدًا زنجيًا + عدد غير معرف من الماشية.
- العام ٤٢: ٢٣٧٤ دبنًا من الذهب + قدت واحد من الذهب + حصاد واحد<sup>(٦١)</sup>.

ويتفق الباحثون، كما تدلنا شواهد الآثار أيضاً على أن المعدن الرئيسي بالنوبة في هذه الفترة التاريخية وما تلاها كان هو الذهب، وكانت مناجمه كثيرة ووفيرة الإنتاج إلى حد كبير، وقد كانت معظم مناجم الذهب التي تم استغلالها قريبة من وادي النيل، وكان استغلالها قد بدأ منذ أيام الدولة الوسطى، وليس لدينا تفاصيل عن خامات الذهب في كوش، وربما تشير كميات الذهب الموجودة في بوهن إلى أن هذه المناجم قد استغلت منذ عصر الدولة القديمة<sup>(٦٢)</sup>. وقد أشار فيركوتير إلى هذه النقطة بشكل أكثر توضيحاً، عندما ذكر في مقال له بأن الجانب الأكبر من إنتاج الذهب بالنوبة يأتي من مناجم تقع في الجزء الأعلى من وادي العلاقي<sup>(٦٣)</sup>، والذي كان يطلق عليه في نصوص الأسرة التاسعة عشرة اسم إقليم أكيتا *Akita* وأن الدلائل الأثرية تشير إلى أن استغلال مناجم الإقليم في عصر الدولة الحديثة كان أكثر منه بشكل كبير في عصر الدولة الوسطى. وتدل شواهد الآثار أيضاً على أن هذا الاستغلال الكبير للمناجم في عصر الدولة الحديثة قد اضطر الفراعنة إلى استخدام أعداد كبيرة من العمال، إضافة إلى القوات التأمينية من الجنود المرافقين<sup>(٦٤)</sup>.

ومن الناحية الفنية، فقد كانت عملية استخراج الذهب واستخلائه تتطلب تحطيم عروق الكوارتسيت باستخدام النار، ثم تأتي مرحلة ثانية يتم فيها صحن العروق حتى تتحول إلى مسحوق ناعم، وفي المرحلة الأخيرة كانت تستخدم طرق فنية لاستخلاص مسحوق الذهب الخام بفصله عن مسحوق الكوارتسيت. ولا شك في أن عمليات التعدين في النوبة كانت في هذه الفترة التاريخية غاية في الصعوبة حتى ليتمكن تشبيه الجهد المبذول فيها بما يبذله الجنود المحاربون في أثناء المعارك، فقد كان رجال البعثات التعدينية ومرافقوهم من القوات الحامية يواجهون مشقة وطول الطرق والدروب عبر الوديان التي كانت محفوفة بالمخاطر الطبيعية والبشرية حينما تتعرض قوافلهم لهجوم من حيوانات ضارية أو من لصوص قاطعي طريق أو من خلال المعاناة من أشعة الشمس ولهبها، وكذا من نقص أو انقطاع موارد المواد في حال نفاذ ما



معهم منها. وكانت البعثات التعدينية تعتمد في أسفارها بشكل رئيس على الحمير لنقل المياه والغذاء من وادي النيل إلى مواقع العمل. وهكذا فإنه لم يكن من الغريب أن الفراعنة قد اسندوا جانباً كبيراً من هذه الأعمال الشاقة والمحفوفة بالمخاطر إلى أعداد كبيرة من الرجال من ذوي القوة الجسدية من الرقيق ومن أسرى الحروب. على أنه كان من حسن حظهم أن مثل تلك الأعمال كانت تتم بصورة متقطعة غير متصلة لاستخلاص كميات الذهب المطلوبة فقط، وتدل الشواهد على أنه كانت هناك مرحلة إضافية من مراحل استخلاص الذهب وكانت تتم في قلعة كوبان التي أعيدت في عصر الدولة الحديثة كمنطقة خاضعة للنفوذ المصري بعد أن هجرها السكان في عصر الانتقال الثاني<sup>(٦٥)</sup>.

وكان إنتاج الذهب في كوش أيام الدولة الحديثة أقل بشكل كبير من إنتاجه في واوات، وأكد تريجر في دراسته أن نسبة إنتاجه في كوش كانت تقدر بحوالي واحد إلى عشرين من مثيله في واوات، وأنه في مراحل الإنتاج النهائية لاستخلاصه فإن معظم هذا الذهب كان يفصل عن التراب العالق به عن طريق غسله بالمياه العذبة على امتداد شاطئ النيل، في المنطقة الممتدة بين كل من الجندلين الثاني والثالث، ويضيف أنه قد تم العثور في منطقة الدويشات التي تقع جنوبي سمنا مباشرة على حفرة ودهاليز إلى حدوث نوع من أنواع التعدين بالمنطقة، يماثل تقريباً ذلك النوع الذي كان في منطقة الصحراء الشرقية، وأن موقع الدويشات القريب من شاطئ النهر يجعل منها مكاناً مناسباً وآمناً لتعدين الذهب أكثر من تلك المناطق شديدة الخطورة التي في الصحراء الشرقية التي يعاني رجال البعثات من صعوبة ومشقة الوصول إليها بشكل قاطع<sup>(٦٦)</sup>. وعلّق سودربرج على توسع فراعنة الدولة الحديثة في استخدام معدن الذهب بشكل واضح ميز عصرهم، مشيراً إلى أن توسعهم في استخدام هذا المعدن وازدياد طلبهم عليه بشكل مضاعف خلال هذه الفترة التاريخية بشكل خاص، كما أكدت كل الشواهد والظواهر، إضافة إلى قيامهم باستنزاف مواقعه الأكثر قرباً من وادي النيل، والتي كانت تتميز بغزارة وجودة الإنتاج، وتحديدًا في عصر ملوك النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشرة، فإن كل هذه الأسباب مجتمعة كانت هي الدافع المباشر وراء الاتجاه التدريجي الذي فرض نفسه على خلفائهم من ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين للبحث عن مصادر الذهب في المواقع الأكثر بعداً عن وادي النيل، والتي كانت قد أقل إنتاجاً وجودة من سابقتها التي استنزفت، ولكن ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كانوا

يحاولون محاكاة أسلافهم من ملوك الأسرة الثامنة عشر في استخداماتهم الواسعة لهذا المعدن.

وعلى ذلك فتدلنا شواهد الآثار على قيام البعثات التعدينية في عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين بالتعمق لمسافات أكثر بعداً من سابقتها للبحث عن مصادر الذهب، وعلى الرغم من أن هذه البعثات الجديدة قد تحقق لها نجاح إلى حد ما في أهدافها، كما تؤكد الشواهد، إلا أن ذلك الأمر أدى بهم إلى مواجهة أخطار مضاعفة، وإلى فقدان الكثير من العناصر البشرية، ونفوق أعداد كبيرة من الحيوانات الناقلة، وهو الأمر الذي دفع بالفرعون سيوتي الأول إلى الأمر بحفر بئر عميق في الصحراء، وصل عمقه إلى مئة وعشرين ذراعاً لتوفير وسيلة شرب لبعثات التعدين والقوافل التي تسلك الطريق، وكان موقع البئر يتوسط المسافة تقريباً بين وادي النيل غرباً ومناطق التعدين في الشرق<sup>(٦٧)</sup>. وقد سجّل هذا الحدث على لوحة صخرية من الدولة الحديثة عثر عليها في كوبان، وإن كانت كلمات النص قد أكدت خيبة أمل الملك ورجاله في هذا البئر الذي رُم، طبقاً للنص، لعدم نجاحه في إخراج الماء، وتقول الفقرة التي أورد الدكتور سليم حسن ترجمة لها من سياق النص: ... أما إقليم أكتينا فقد قال عنه ابن الملك، صاحب كوش، أمام جلالته إنه كان ينقصه الماء، بهذه الكيفية فقد ماتوا (رواده) عطشاً فيه، وكل ملك قبلك رغب في فتح بئر هناك، لم يصب نجاحاً، وقد حاول ذلك الملك من ماعت رع (سيوتي الأول) وأمر بحفر بئر عمقها مئة وعشرين قدماً، ولكنها نبذت على الطريق، لأن الماء لم ينبغ فيها...<sup>(٦٨)</sup>.

وفي عصر رعمسيس الثاني كانت البعثات التعدينية تقوم بنشاطها للبحث عن مناطق الذهب واستخراجه منها، وكانت هذه البعثات على ما يبدو تستخدم نفس الطريق الذي أمر سيوتي الأول بحفر البئر به، ومن خلال اللوحات التذكارية التي اعتاد رجال البعثات التعدينية على تركها وراءهم فقد علمنا أن هذا البئر كان ما يزال موجوداً على أيام رعمسيس الثاني، ولكن عمقه أيامها لم يكن يتعدى اثني عشر قدماً فقط، أي بفارق مقداره مئة وثمانية أقدام عما كان عليه في عصر سيوتي الأول<sup>(٦٩)</sup>، وقد عثرت بعثة أثرية روسية برئاسة بيوتروفسكي (Piotrovsky) على أطلال هذا البئر، على مبعده حوالي خمسة وخمسين كيلومتراً من وادي العلاقي<sup>(٧٠)</sup>، وكان ذلك في عام ١٩٦٦م. وعن شرعية البحث والتنقيب عن الذهب في عصر الدولة الحديثة، فإنه لدينا كل الأسباب للتسليم بأن استخراج الذهب من مناطقه التي كانت

في الصحراء الواقعة شرقي بلاد النوبة كان احتكاراً حكومياً، والأمر الواقع هو أنه تنقصنا المصادر الصريحة عن استخراج الحكومة المصرية للذهب في جبال وادي العلاقي، ولكن إذا كنا في شك من هذا فيجب علينا إذن أن نجد من باب أولى مصادر أكيدة لكل كيان الحكومة المصرية في العصر الفرعوني لمعارضة ذلك. وقد ذكر في نقوش الرديسية (بمركز إدفو-محافظة أسوان) عن أعمال مناجم الذهب الواقعة شرقي إدفو أن استخراج الذهب كان مصرحاً به للحكومة أو للمعابد.

وعلى أية حال، فقد كان الذهب واحداً من أبرز صادرات كوش إلى مصر في عصر الدولة الحديثة، وقد أمدتنا مقابر حضارة كرما، على الرغم من أحجامها وكثرة نهبيها قديماً في العصور المختلفة، بعدد ليس بالقليل من المصنوعات الذهبية، مما يدل على أن الذهب كان يستخرج بكميات كبيرة من مناجم كوش قبل قيام الدولة الحديثة، على أن كوش إنما قد ظلت تمثل مورد الذهب الرئيس لمصر طوال عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، والمعروف بعصر الرعامسة، وهو الأمر الذي يبدو واضحاً في النقوش المسجلة على جدران معبد الأقصر، وأيضاً في بردية هاريس<sup>(٧١)</sup>.

ومن ناحية أخرى، فقد أشارت الاكتشافات الأثرية الحديثة في بوهن إلى وجود مستعمرة مصرية هناك ترجع لعصر الدولة القديمة، كان من أهم صناعاتها هناك تشغيل النحاس، كما تشير إلى ذلك أفران الصهر التي عثر على بقايا منها، وعلى بقايا من خام النحاس، الأمر الذي يدل على وجود خام جيد يتفوق على غيره من الأماكن الأخرى في مصر والسودان، وتدل الدراسات العلمية لعينات من نحاس بوهن أجريت في المدرسة الملكية للتعددين بلندن أن رواسب النحاس التي رواسب النحاس التي ظهرت في مصر وفي النوبة السفلى، إنما ترجع وجود مصدر لخام النحاس في بوهن، وقد عثر إمري على كميات من النحاس غير المصهور وذلك بالقرب من ثلاثة أفران خاصة بصهر النحاس في بوهن<sup>(٧٢)</sup>. واعتماداً على المتخصصين، فقد ثبت من الناحية الكيميائية أن أبرز الملامح التي تميز خام النحاس الذي عثر عليه في بوهن هي احتوائه على نسبة عالية من الذهب بشكل مميز<sup>(٧٣)</sup>.

ومن جانب آخر، فقد كانت السفن التي تصل إلى مصر، حاملة على ظهورها منتجات وجزية النوبة، كانت تصنع في النوبة نفسها، غير أن صناعة السفن<sup>(٧٤)</sup> هذه لم تكن تتجاوز منطقة الجندل الثاني، ذلك لأن الجزية ربما كانت تنقل في مراكب عبر النهر حتى إكن<sup>(٧٥)</sup>،

إكن<sup>(٧٥)</sup>، ثم تحمل في سفن كبيرة إلى مصر، وعلى أية حال فقد ذكرت قوائم الجزية من عصر تحتمس الثالث السفن التي تحمل بالمحاصيل النوبية كل عام، وأنها كانت تصنع هناك، ثم تأتي السفن نفسها لمصر بمثابة جزء من الجزية، كما أن مناظر مقبرة حوي بالبر الغربي تعرض لنا أطولاً من سفن النقل، وهناك لوحة صخرية عثر عليها في جبل البرقل، على الضفة الشرقية لنهر النيل أمام نباتا، تشير إلى أن النوبيين في عصر الدولة الحديثة كانوا يفضلون صناعة السفن كاملة، لكي يقدمونها كجزية، بدلاً من توريد الأخشاب لصناعة السفن في مصر<sup>(٧٦)</sup>.

أما عن الأحوال الزراعية بالنوبة في عصر الدولة الحديثة، فإن النظام القبلي الذي كان سائداً بها من قبل، والذي كان مسيطراً على ملكيات الأراضي بالنوبة، قد استبدل في هذه المرحلة التاريخية ليحل محله نظام الإقطاعيات المصري والذي يؤدي إلى خلق طبقات متفاوتة في المجتمع. وهكذا قد وجد معظم النوبيين أنفسهم يعملون في أراضي يمتلكها الفرعون أو أمراء محليين أو كبار رجال الجهاز الإداري الحكومي<sup>(٧٧)</sup>. وعلى ما يبدو فإن هذا التحول في نظام ملكية الأراضي قد صاحبه تطور زراعي كبير، ومن الأمثلة التي توضح ذلك، فلدينا مشهد الزراعة المرسوم على جدران مقبرة الأمير جحوتي حتب بمنطقة ديرة الذي يشير على أن صاحب الأرض كان يزرع التمر وينتجه بغرض تصديره إلى مصر. ومن خلال تتبع الرسوم والمناظر المصورة على جدران المقبرة ذاتها يمكننا أن نلاحظ وجود نوعين من العمال الزراعيين، نميز نوعاً منهما من خلال البشرة البنية لأصحابه من أبناء النوبة السفلى، والنوع الآخر يتميز أصحابه ببشرة سوداء وملامح زنجية، وهم من الرقيق الذين جلبوا من أقصى الجنوب. وتميزت منطقة الجندل الثالث تميزاً خاصاً بتربية النحل، وبصيد الحيوانات، وأيضاً بصناعة النبيذ، على أنه توجد أدلة على حدوث أنشطة مماثلة لذلك في مناطق أخرى بالنوبة السفلى<sup>(٧٨)</sup>.

ويبدو أن الأسلوب الزراعي الذي يعتمد على تقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض كان يعتبر أمراً مستحيلاً في معظم الأراضي النوبية، وليس كلها، بسبب اجتياح الفيضان للأراضي التي كان ارتفاعها قليلاً، والمطلة مباشرة على النهر، إضافة إلى عدد كبير من الجزر النيلية الصخرية. وعن الأدوات الزراعية التي استخدمها النوبيون، فقد أمدتنا بعض المقابر من إقليم النوبة السفلى بنماذج لأدوات زراعية مصنوعة من الخشب، على أن أشهر هذه



الأدوات وأكثرها انتشاراً كان الشادوف<sup>(٧٩)</sup> الذي كان في هذه الحقبة بشكل خاص منتشر ومستخدم لدى فلاحي وادي النيل بمصر، وكان له دوره في اتساع الرقعة الزراعية<sup>(٨٠)</sup>. وبالرغم من أن النشاط الزراعي بالنوبة قد تحسن بالفعل منذ مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة، على وجه التحديد، وبخاصة في إقليم النوبة السفلى واوات، وبالرغم من اتساع رقعة الأراضي الزراعية بالإقليم، إلا أن الحكومة المصرية، كما تدل شواهد الأمور، قد استمرت في إرسال كميات من الغلال المصرية - باستخدام السفن النيلية - من أجل إطعام ودفع رواتب الموظفين المصريين وغير المصريين الذين يعملون بإقليمي النوبة<sup>(٨١)</sup>.

وقد لاحظنا ورود العديد من الإشارات النصية المتفرقة على مدى عصر الدولة الحديثة تقريباً، تشير جميعها إلى قيام الفراعنة - وبخاصة منذ حوالي منتصف عصر الأسرة الثامنة عشرة تقريباً - بتخصيص مساحات محددة من الأراضي الزراعية النوبية كأوقاف خاصة بأعمال أو أماكن معينة، بحيث يخصص كامل ريعها للإنفاق على هذه الأماكن أو الأعمال، وهو الأمر الذي يعتبر بالنسبة لنا - مألوفاً من خلال اعتيادنا على مقابلته بصفة مستمرة خلال دراستنا للتاريخ المصري القديم على مر العصور، وبخاصة في عصر الدولة الحديثة، حيث كثيراً ما كانت تستوفنا إشارات نصية تفيد بصور أوامر ملكية بتخصيص أوقات زراعية للإنفاق على أعمال الإنشاءات والترميمات والطقوس الدورية بالمعابد المصرية، وكذا من أجل القيام بإنجاز بعض الأعمال الملكية الخاصة كنحت التماثيل الضخمة للملوك، إضافة إلى تشييد المقابر وقطع المسلات وما إلى ذلك.

ويبدو أن فراعنة الدولة الحديثة اتبعوا نفس السياسة مع الأراضي الزراعية والمناجم بالنوبة، وقد أكدت الشواهد والأدلة أنه بالإضافة إلى المعابد المصرية الكثيرة التي شُيِّدت في النوبة في عصر الدولتين القديمة والوسطى، فقد كانت هناك بعض المعابد الأخرى بمصر أوقفت عليها إقطاعيات من أراضي النوبة، وحتى استقلالها عن النفوذ المصري فإن ريعها بالكامل كان يذهب مباشرة على المعابد. ومما يؤيد هذا الرأي فيما يتعلق بإقليم النوبة النقش الذي عثر عليه منقوشاً بمنطقة الجندل الثالث وتشير إحدى فقراته إلى أن سيّتي الأول قد خصص لمعبده الجنائزي بمنطقة أبيدوس قطعة أرض بالنوبة كوقف خاص بالمعبد، وكان هذا التخصيص يشمل امتيازات أخرى منها حق التعدين واستخلاص الذهب<sup>(٨٢)</sup>. ولدينا مثال آخر من عصر رمسيس الثاني، حيث عثر على نقش صخري بمنطقة أبي سمبل يفيد بقيام

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

الملك نفسه بتخصيص قطعتين من الأراضي الزراعية بالنوبة كوقف خاص بمعبد في فرس. ومثال ثالث من عصر رعمسيس السادس سجله لنا أحد موظفيه على لوحة تذكاريه لأحد الأعمال، وجاء من خلال سياق النص ما يفيد أن الملك نفسه خصص قطعة من الأرض الزراعية من قبيل المساهمة في عبادة وتقديس تمثال له في عنيبة والعناية به<sup>(٨٣)</sup>.

وعلى ما يبدو فقد كانت أسعار الأراضي الزراعية في النوبة خلال عصر الدولة الحديثة باهظة، وأنها كانت تفوق أسعار مثيلاتها في مصر، ولدينا مثال يدعم ذلك وهو نص ورد من خلال لوحة صخرية من عصر الرعامسة، وقد أشار النص إلى حور، سيد بوهن، وأشار في فقرة أخرى إلى أن أسعار الأراضي الزراعية بالنوبة مرتفعة، ويمكن الاستدلال من ذلك على ندرة الأراضي الجيدة المناسبة للزراعة، أو على الأقل قلة وجودها - ربما بسبب الخسائر التي يخلفها فيضان النيل متمثلة في إتلاف بعض أنواع من المحاصيل قبل حصادها - وربما يفيدنا النص لتأكيد أهمية امتلاك الأراضي الزراعية بالنوبة نظراً لقلّة أو صغر الرقعة الزراعية الخصبة والأمنة من خطر الفيضان.

وعلى أي حال فإن النظام الذي اتبعه الفراعنة في عصر الدولة الحديثة نحو تبديل ملكية الأرض بالنوبة من نظامها القبلي السائد من قبل إلى نظام الإقطاعيات، وما ترتب عليه من خلق فئات متفاوتة طبقياً في المجتمع كان هو العامل الرئيس الذي أدى إلى الحد من إمكانيات قطاع عريض من أبناء المجتمع النوبي يشكل الفلاحين والعمال البسطاء معظمه، وما أدل على ذلك من محتويات مقابرهم، التي كانت نفسها غاية في البساطة لأبعد الحدود، وما كانت لتشمل أكثر من عدد بسيط من أوان فخارية بسيطة الصنع، بالرغم من اختلاف طرزها عن بعضها البعض طبقاً للموقع والعصر والحضارة التي تنتمي إليها.

ولم يكتفي فراعنة الدولة الحديثة بفرض نظامهم الاقتصادي على النوبة فقط، وإنما فرضوا عليها مفاهيم الولاء الطبقي أيضاً، وقد انتشر في النوبة ما يمكن أن نطلق عليه عدم المساواة العرقية مما أدى - في رأي تريجر إلى تعقيد الصورة الاجتماعية. وقدم لنا مثلاً يدعم رأيه متمثلاً في ظهور حالات واضحة لذلك من خلال عائلات الحكام النوبيين، والذين كانوا قد عبروا - بشكل غير مباشر - عن رغبتهم في الاندماج مع المصريين، وأنهم قد قاموا بذلك بالفعل من خلال اندماجهم مع الفئات من ذوي الطبقة الرفيعة بالمجتمع، وذلك بالرغم من أنهم كانوا خارج الحسابان، كما كانوا من غير أفراد وأبناء الطبقة الحاكمة من وجهة نظر



المصريين القائمين على الإدارة<sup>(٨٤)</sup>. ونحن نعترض على رأي تريجر القائل بأن عائلات الحكام النوبيين كانت خارج الحسيان، ومن غير أفراد أو أبناء الطبقة الحاكمة، على أساس أن كل ما ورد بالبحث فيما يتعلق بسياسة فراعنة الدولة الحديثة نحو إرادة النوبة وكذا نحو تمصيرها - وهو ما قد حدث بالفعل طبقاً للشواهد الأثرية والظواهر التاريخية - إنما يتنافى تماماً مع هذا الرأي، وذلك لأنه كان على رأس الوسائل التي اتبعتها فراعنة الدولة الحديثة، في سبيل إنجاح إدارتهم للنوبة بشكل ناجح والعمل من أجل تمصيرها، كان الاهتمام بهذه الفئة تحديداً، على وجه الخصوص، لما لها ولأصحابها من دور مؤثر في المجتمع النوبي، لأنهم قمته، ومن هذا فقد كان الفراعنة يستقدمون أبناءهم إلى القصر الملكي بالعاصمة المصرية طيبة، ليحفظوا بقدر من التعليم والتربية، جنباً إلى جنب مع ولي العهد المنتظر ومع الأمراء وأبناء كبار رجال الدولة بمصر، وكذا أبناء الحكام الآسيويين والأجانب، الذين كان استخدام دماء جديدة منهم - من وجهة نظر الفراعنة - كفيلاً لضمان إنتاج جيل جديد تربي على النهج المصري الخالص، وتشرب منذ نعومة أظافره مفاهيم الحياة الدينية والدينيوية على أسس مصرية، وينتظر من هذا الجيل أن يدين بالولاء والإخلاص لمصر وفراعنتها.

وعلى أية حال، فقد دلت الشواهد على أن النوبيين البسطاء من عامة المجتمع من الفلاحين قد عاشوا في هذه الحقبة التاريخية كأرقاء للأرض التي أصبحت ملكاً إما لمصريين قادرين، أو لنوبيين متمصرين - بكل ما تحمله الكلمة من معنى - ينتمون لطبقة تخلت تقريباً عن كل العلاقات القبلية التي كانت تربطهم بأبناء وطنهم. وكان هؤلاء البسطاء ينتمون لأصول عرقية متنوعة، وكان معظمهم منساق إلى حد كبير في مهام أعمال الخدمة الرسمية، وبشكل خاص أعمال الزراعة والصناعة والتعدين، وكانت الفئة العاملة في مجال التعدين تواجه قسوة ومشقة في العمل أكثر بشكل كبير مقارنة مع ما كان سائداً في الحياة العامة بشكل عام، وفي كرماً بشكل خاص<sup>(٨٥)</sup>.

#### معبودات النوبة:

إذا كانت الديانة هي مركز الثقل في الحضارة المصرية القديمة، فإن الآلهة من حيث نشأتها ودورها الوظيفي ورموزها وتيجانها وألقابها تمثل أهمية خاصة<sup>(٨٦)</sup>. وكانت ظروف البيئة الطبيعية في مصر قد أدت إلى غلبة طابع المركزية على النظام السياسي، وقد استمدت الملكية المصرية سلطتها على البلاد من دواعي السيطرة على عوامل هذه البيئة وتطويعها،



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

وقد نشأ تبعاً لذلك نظام الملكية المؤلمة، وكانت هذه السلطة المطلقة قد تعرضت لتطورات جذرية نتيجة تطور علاقات الملكية بالرعية، وتمخض ذلك عن نتائج اجتماعية ذات تأثير كبير، إذ سادت فكرة أن الملك هو الراعي الصالح لشعبه، والمسؤول عن تحقيق العدل والرخاء للرعية، وسيطرت هذه الفكرة حتى بعد أن عادت للملكية قوتها وجبروتها في الدولة الحديثة. ومن ناحية أخرى انعكست هذه الفكرة أيضاً على الجهاز الحكومي فنادت بضرورة وجود موظفين عدول يتصفون بالنزاهة والأمانة ليكونوا أداة للحاكم الصالح في تحقيق ما ينشده الإنسان المصري من عدالة ومساواة ورخاء<sup>(٨٧)</sup>.

وهكذا، فقد كانت تلك هي مفاتيح الفراعنة التي استعملوها بحكمتهم السياسية ووظفوها بنجاح في النوبة، وبخاصة مع إعادتهم لبسط النفوذ المصري عليها منذ مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة. لقد كان هؤلاء الساسة على وعي ودراية بمدى تأثير الديانة والمعتقدات المصرية على وعي الشعب الخاضع لحكمهم. وإن نقل مفاهيم الديانة إلى النوبة مباشرة كان على الأرجح هدفاً وضعه نصب أعينهم، وعلى ذلك فقد شيّدوا عشرات المعابد بشتى أنحاء النوبة، وبخاصة في فترة الخمس مئة عام تقريباً، التي يُقدَّرُ بها عمر الدولة الحديثة، وبصرف النظر عن الوسائل التي اتبعت في سبيل تشييد المعابد المصرية بالنوبة، وبخاصة المعابد الدينية، فإن ما يعيننا هو تنفيذها بالفعل، تحقيقاً لأهداف سياسة ناجحة بعيدة النظر، سنّها فراعنة حكماء، وحققوا من ورائها نجاحات سياسية واسعة.

ومن المؤكد أن الديانة المصرية القديمة قد حازت على نفوذها الدائم والشامل معاً، فملوك الأسرة الثانية عشرة الأوائل الذين دفعوا برجالهم إلى أعالي النيل حتى الجندل الثاني، وجدوا النوبة تقطنها قبائل رعاة من مربي الماشية، يعيشون في حضارة لا تكاد تتجاوز عصور ما قبل التاريخ في مصر، ولا نعرف شيئاً عن ديانة هؤلاء السكان الوطنيين، فيما عدا وجود المعبود ددون. ونستنتج من بقايا مقابرهم وتجهيزاتهم والمعابد التي بناها المصريون في المدن والحصون التي أقاموها هناك، أن عبادة ددون كانت مستمرة فيها، ولكن المصريين أدخلوا آلهتهم، خاصة ثالوث إلفنتين المكون من المعبود خنوم والمعبودتين ساتت وعنقت.

وخلال عصر الانتقال الثاني فقدت مصر سلطانها على النوبة، ولكنها سرعان ما استعادتته في بداية عصر الأسرة الثامنة عشرة، وضمت مناطق جديدة منها، تمتد جنوباً حتى إقليم دنقلة الحديث (على مشارف الجندل الرابع). وقد كان المعبود المفضل في ذلك الوقت في



معظم الأماكن هو المعبود الملكي *Hr* حورس، والذي كان يُمثل ملك مصر الذي جُسدَ على الأرض. ولقد كان هناك العديد من مظاهر حورس في مختلف مدن النوبة - هذا إلى جانب مظاهره وأشكاله بمصر مثل حورس بحدت في إدفو وحور - ور بكوم امبو - ومنها حورس بوهن قرب وادي حلفا، وحورس ميعام (عنيبة)، وكذلك حورس باكي (كوبان)، وأيضاً حورس محا (أبو سمبل)، وكان كل حورس منهم معبود مستقل تماماً بذاته<sup>(٨٨)</sup>.

وإلى جوار عقيدة حورس الملكية كانت عبادة بعض الملوك المصريين قد وصلت إلى درجة متقدمة، بالمقارنة مع مصر نفسها، فالملك سنوسرت الثالث، الذي يُعزى إليه الغزو المنظم الأول للنوبة<sup>(٨٩)</sup>، كان يُقدس في معابد حصني سمنا وقمة، أيضاً في معبد عمدا، كما أن كل من تحتمس الثالث وأمنحتب الثالث (وزوجته) الملكة تي وتوت عنخ آمون ورعمسيس الثاني قد عُبدوا أيضاً في عدة مناطق مختلفة بالنوبة. على أن كل هذه العقائد الملكية كانت مجرد عبادات فرعية في مقابل عقائد المعبودات العظمى المصرية المتمثلة في آمون رع (معبود طيبة) ورع آختي (معبود هليوبوليس) وبتاح (معبود منف) وبخاصة الأول منهم. وأقام تحتمس الثالث معبداً خصصه من أجل آمون سيد عروش الأرضين (آمون الكرنك)، بعيداً إلى الجنوب في نباتا (جبل البرقل الحالية)، تحت سفح جبل مرتفع ذي قمة مسطحة، والذي أطلق عليه المصريون القدماء الجبل النقي، الذي يرتفع في حدة على مقربة من السهل الذي يحف بالنيل<sup>(٩٠)</sup>.

وكانت المعابد المصرية التي شُيدت بالنوبة في مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة مقامة باستخدام كتل صغيرة من الأحجار، وكانت تشمل إضافة إلى قدس الأقداس، حجرات جانبية ودهليز، وفي بعض الأحيان كانت تُضاف إليها أجزاء جديدة تشمل صفة واحدة أو صفتين من الأعمدة، وفناء مفتوح ومدخل بسيط. وعلى الرغم من صغر هذه المعابد إلا أنها أحياناً ما كانت تزين جدرانها بنقوش بارزة بديعة<sup>(٩١)</sup>. وكانت المعابد المصرية التي شُيدت بالنوبة في البداية داخل نطاق القلاع والحصون التي شُيدت منذ عصر الدولة الوسطى، ثم ما لبثت في عصر الدولة الحديثة أن شُيدت مستقلة بذاتها، إضافة لقيام فراعنة الدولة الحديثة بترميم بعض معابد أسلافهم<sup>(٩٢)</sup>. وذكر تشرني أن الكهنة المصريين بطيبة قد ادعوا سطوة معبوداتهم على كل بلاد النوبة، كما ادعاها كهنة آمون على مصر وممتلكاتها الآسيوية<sup>(٩٣)</sup>.



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

وكان بالنوبة عدد من المعبودات التي قُدمت في المعابد المصرية وبخاصة في عصر الدولة الحديثة وما بعده، كما كان بها معبودات مصرية قدست بها منذ عصور أقدم، إضافة لتقديس بعض من ملوك مصر في أثناء حياة بعضهم، وبعد ممات البعض منهم، وكان من أشهر المعبودات المصرية بالنوبة ما يلي:

### [١١] المعبود آمون Amun:

كان آمون هو رأس ثالوث طيبة<sup>(٩٤)</sup>، وعضو ثامون الأشمونين<sup>(٩٥)</sup>، اندمج مع المعبود رع، وكان يُصور على هيئة آدمية<sup>(٩٦)</sup> في صورة شاب على رأسه قلنسوة، عليها ريشتان طويلتان، ويتدلى منها شريط طويل خلف الرأس، وأحياناً يُصور على شكل إنسان له رأس كبش، الذي يُعدُّ رمزه المقدس. ويؤلف مع زوجته المعبودة موت وابنه إله القمر المعبود خونسو ثالوث طيبة الشهير.

وكان آمون رع هو كبير المعبودات في كل من طيبة ونباتا ومروي، وشُيدت له معابد كثيرة بالنوبة، منها صنم والبرقل ومروي والنقعة، وكانت تماثيله وصوره تلون باللون الأزرق وهو لون الأثير<sup>(٩٧)</sup>. وامتزج بالمعبود رع تحت اسم آمون - رع منذ بداية عصر الأسرة الثانية عشرة ليكتسب صفات ونفوذ رع بين الناس، وربما ليتقبل الناس طبيعته حيث أنه ربما كان من العسير عليهم تفهم معنى الخفاء الذي يدل عليه اسمه الذي يعني الخفي<sup>(٩٨)</sup>. واعتُبر آمون منذ حرب التحرير ضد الهكسوس واهب النصر والبلاد الأجنبية لابنه الفرعون، وبنجاح مصر في تكوين إمبراطوريتها ازدادت ثروة آمون بشدة.

حمل صفات المعبودين رع ومين أيضاً، ونُسبت إليه صفات المعبود مين إله الحرب القديم<sup>(٩٩)</sup>. وكان اللقب الذي يصاحبه هو: آمون رع، سيد عروش الأرضين *Imm-Rc nb nswt t3wy*<sup>(١٠٠)</sup>.

### [١٢] المعبود أبيس Apis:

عُبد على هيئة العجل في منف منذ عصر الأسرات المبكر كرب لخصوبة الأرض، وفي مرحلة متقدمة أصبح صورة من صور بتاح - المعبود الرئيس في منف - واتحد معه ومع المعبود أوزير الذي كان إلهاً للعالم الغربي (عالم الموتى). وقد اعتبره الناس قديماً إلهاً للقوة الجسدية والإخصاب والتناسل، وهي الصفات الطبيعية التي تميز حيوان العجل. والعجل أبيس له



علامات مميزة على جسمه، وكان يُمثل في صورته الحيوانية، واضعاً بين قرنيه قرص الشمس، وهي الصورة التي اعتاد الظهور بها في التماثيل والمناظر، إلا أنه كان في بعض الحالات يُمثل على هيئة إنسان كامل برأس عجل<sup>(١٠١)</sup>.

وفي عام ١٨٥١م تمكن الأثري الفرنسي مارييت من الكشف عن مقابر العجل أبيس في المنطقة الواقعة غربي المجموعة الهرمية بمنطقة سقارة، والتي اشتهرت باسم السيرايوم<sup>(١٠٢)</sup>، وإضافة إلى أماكن تقديسه بمصر، فقد كان له بالنوبة معبد في مدينة مروى<sup>(١٠٣)</sup>.

### ١٣١ المعبود أوزير Osiris:

كان أوزير أكثر المعبودات شعبية بمصر بسبب مظهره السلمي وخُلقه الرضي ونعمه الوفيرة على البشرية، ثم ميته العنيفة وبعثه، ومن ثم فلم يقده المصربون فحسب، وإنما غزا أفئدة الكثرين من شعوب حوض البحر المتوسط، وبخاصة في بلاد الإغريق والرومان وهما في أوج حضارتهم. وقد نالت أسطورة الصراع بينه وبين المعبود ست شهرة عظيمة دفعتهم إلى التعلق به وبزوجته المخلصة إيزة وابنه حور الذي أصبح رمزاً للملك الحي، بينما أصبح وزيراً للعالم الغربي (عالم الموتى)، واعتقد الناس أن مقبرته الأصلية في الصحراء خلف أبيدوس، في مكان مقبرة جر، ومن هنا بدأت قداسة المكان، واتجه الكثرين إلى الدفن بجوار قبره أو إقامة مقابر رمزية أو لوحات تذكارية هناك. وقد عُبد أوزير في شتي أنحاء مصر على رأس ثلاث مقدس مكون منه ومن كل من إيزة وحور<sup>(١٠٤)</sup>. وصُور على هيئة المومياء (أو الجسد المنحط) برأس إنسان على رأسه التاج المزدوج، وفي يديه -المتقاطعتين على صدره- شارات الملك<sup>(١٠٥)</sup>. وكان اللقب الذي يصاحبه هو: أوزير، سيد الأبدية<sup>(١٠٦)</sup> *Wsir nb dt*

### ١٣٢ المعبودة إيزة Isis:

عُثر على اسمها من عصر التأسيس على ختم من أبيدوس، وقد استمرت عبادتها بمصر طوال العصور الفرعونية وبخاصة في فيلة والتي عُبدت بها حتى القرن السادس الميلادي. وقبيل العصر الإغريقي خلط الناس بينها وبين معبودات أخريات، وفي عصر البطالمة فاقت مكانتها كل إلهات مصر، وشُيد لها وللمعبودات المرتبطة بها معبداً ضخماً في فيلة وفي الإسكندرية وكذا في فيلادلفيا، وانتشرت عبادتها في حوض البحر المتوسط، واعتُبرت سيدة المجتمع، البصيرة، القاهرة، ملكة العالم المأهول، نجم البحر، تاج الحياة، مانحة القانون، المنفذة، منبع الرشاقة والجمال، مصدر الخط والثراء، رمز الصدق والحب لأنها وهبت العالم فنون



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

الحضارة، ووضعتها تحت رعايتها. وفي الإسكندرية أصبحت معبودتها وحامية للملاحة، ومن ثم أصبحت تُمَثَّلُ ومعها الدفة والبوق، وعليها رداء شفاف بطيات كثيرة، وعقدة على الصدر<sup>(١٠٧)</sup> - وفي أحيانٍ بشدي عار تعبيراً عن الرضاة، رمز الأمومة، كما اعتُبرت ربة للسحر<sup>(١٠٨)</sup>. وظهرت إيزة على شكل أنثى كاملة يعلو رأسها قرص الشمس والقرنان - وذلك في الصورة الرئيسة لها، قبل أن تتبدل هيئاتها - وكانت بوجه عام من أكثر المعبودات تأثيراً في العقائد المصرية حتى نهاية العصر الروماني. وكان اللقب المصاحب لها عادة هو: *إيزيس العظيمة، أم الإله*<sup>(١٠٩)</sup> *Ist wnt mwt ntr*.

### ٥٥] المعبود تحوت Thot :

كان تحوت أو تحوتي أو جحوتي أو توت هو المعبود الذي نسب إليه أصول الحكمة والحساب والمعرفة ورعاية الكتابة والفصل في القضاء، كما اعتبر كاتباً أعلى ووزيراً، ونائباً للمعبود رع، فهو الإله الذي قسم الزمن إلى شهور، وهو الذي ينظم شئون العالم. وقد رمز إليه بثلاثة كائنات حسية، فرمزوا إليه بالطائر إيبس (*Ibis*) (أبو منجل) أو برأس إيبس على جسد آدمي، ولكنه كان من الممكن أن يكون قرداً، أو أن يبرز نفسه في صورة القمر الذي اتُخذت منازلُه أساساً لحساب الشهور والليالي.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن عبادته نشأت أولاً في الدلتا في الإقليم الخامس عشر (هرموبوليس بارفا) - وعاصمته بعح بمكان لم يحدد تماماً بمحافظة الدقهلية -<sup>(١١٠)</sup> ثم وُجد له موطن جديد بعد ذلك في الأشمونين (هرموبوليس ماجنا)، أصبح المركز الرئيسي لعبادته في مصر<sup>(١١١)</sup>. وقد ظهر تحوت بالنوبة ضمن مواكب الآلهة على جدران معبد الأسد بالمصورات الصفراء<sup>(١١٢)</sup>.

### ٥٦] المعبود ددون Dedun :

كان ددون إلهاً للنوبة، ومورد البخور للآلهة، وكان يصور في شكل آدمي، ساواه القدماء بالمعبود آرنسنوفيس في فيلة بأسوان<sup>(١١٣)</sup>. وهناك معبد صغير منحوت في صخور اللبسيه - على مبعده كيلومتر واحد من أبريم - شيده تحتمس الثالث لعبادة حور وددون وسنوسرت الثالث<sup>(١١٤)</sup>.





### [٧] المعبودة حتحور Hathor:

كانت حتحور في الأصل هي البقرة التي أشفقت على حورس الطفل وأرضعته في الأسطورة الشهيرة -إيزيس وأوزيريس- ولذلك فإن اسمها معناه حصن أو مأوى أو حاضنة حورس، ثم أصبحت ترمز إلى معان إنسانية نبيلة<sup>(١١٥)</sup>، وقد ظهرت بصورة وخصائص مختلفة، فهي إلهة الموسيقى والحب والعطاء والأمومة.

اندمجت مع المعبودة إيزة (إيزيس) في فترة ما، وكانت تظهر في الأصل على شكل بقرة كاملة، أو أنثى إنسان يعلو رأسها قرص الشمس والقرنان، كما ظهرت في صرة أنثى إنسان برأس بقرة وبين قرنيها قرص الشمس. وعُبدت في أماكن كثيرة بمصر مثل دندرة وسينا ومنف وأطفيح وأبي سمبل، حيث كان المعبد الصغير الذي شيده هناك رعمسيس الثاني مخصصاً لعبادتها ومعها الملكة نضرتاري. وقد عُبدت بالنوبة في عدة أماكن مثل فرس وأبشك. وقورنت في بلاد اليونان والرومان بالآلهة أفروديت (فينوس)، وكان يصاحبها اللقب: حتحور،

سيدة الفيروز (إلهة سيناء)<sup>(١١٦)</sup> *Ht-hr nbt mfk3t*

### [٨] المعبود حور Horus:

كان حور هو الإله الأعظم لمصر منذ بداية العصر التاريخي، وكان له معبد في نخن، عاصمة مصر العليا فيما قبل التوحيد، ثم أصبح الإله الحامي لحكام الصعيد المنتصرين على الدلتا، وقد خُلد هذا الحدث على لوحة نعرمرر الشهيرة، ومن ثم فقد اتخذ ملوك الأسرة الأولى شعاراً ملكياً يعلوه الصقر (السرخ)، وكان يُكتب بداخله الاسم الحوري للملك. وسرعان ما انتشرت عبادة حور في أقاليم مصر، وأصبح اللقب الحوري هو أول الألقاب الملكية الخمسة التي حملها الملوك طوال العصور الفرعونية<sup>(١١٧)</sup>.

وطبقاً لأسطورة إيزة وأوزير (إيزيس وأوزيريس)، فقد أصبح حور (حورس) هو وريث أبيه أوزير والمنتقم له من قاتله رمز الشر ست، وأصبح يرمز إلى كل ملك حي، وذلك بمعنى أن الملك هو صورة حية على الأرض للمعبود حور، وهي النظرية التي حققت للملوك أهدافاً ونجاحات سياسية كبيرة. وكان حور يُصور عادة في شكل إنسان له رأس صقر، كما كان له صور أخرى منها: حور- با- غرد وهو المعبود حورس الطفل<sup>(١١٨)</sup>، وحور- شا- ف وهو المعبود حور- (حر) -شا- ف أي (حورس الذي على بحيرته) ويظهر على شكل كبش، وكان إلهاً لمدينة إهناسيا (بمحافظة بني سويف)، وتوجد له صورة أخرى وهي حور- ور وهي رأس



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

أحد ثالوثي معبود كوم امبو، الذي يشاركه فيه كل من تاسنت -نفرت وبا-إن-تاوي، ويظهر فيه بشكل إنسان برأس صقر، ومن صورته الشهيرة نجد حور-بحدت أو حورس الإدفوي ومعبدته الشهير في إدفو. وقد تعددت أماكن عبادة حور في مناطق النوبة أيضاً<sup>(١١٩)</sup>.

#### ١٩١ المعبود خنوم Khnum:

كان خنوم (بمعنى الخالق) إلهاً قديماً لمنطقة الجندل الأول، وكان يُعتقد أنه المتحكم في مياه النيل، وكان مركز عبادته في جزيرتي إلفنتين وفيلة، حيث كان على رأس ثالوث يضم ساتت وعنقت منذ عصر الأسرة الثالثة. وكان رمز خنوم الذي اشتهر به هو الكباش الأفريقي ذو القرون الممتدة أفقياً، وهو نوع من الكباش عُرف قديماً قبل أن يحل محله الكباش الآسيوي الذي لا يزال في مصر للآن، وكان خنوم يظهر في صورة رجل برأس كبش أفريقي. ويُعتقد أن اختيار الكباش رمزاً له كان بسبب ما لمس القوم في الكباش من قدرة على الإخصاب<sup>(١٢٠)</sup>. وكان اللقب المصاحب له هو: خنوم - رع، سيد برودة الأرض<sup>(١٢١)</sup>.

*Hnmw-Rc nb kbh-t3*

#### ١٠١ المعبود رع Re:

يمثل المعبود رع الشمس في قوتها، وقد وُحِدَ منذ وقت مبكر مع آتون الإله الخالق في أون<sup>(١٢٢)</sup>، مركز عبادة رع الرئيس منذ أقدم العصور وحتى ظهور المسيحية<sup>(١٢٣)</sup>، وكانت من صورته الشهيرة رع -حو- آختي والتي يظهر فيها على شكل إنسان برأس صقر يعلوه قرص الشمس وثعبان الكوبرا، أو على شكل قرص الشمس، يرافقه اللقب: رع حور آختي - الإله العظيم<sup>(١٢٤)</sup>. *Rc-Hr-3hty ntr c3*. وقد اندمج مع المعبود آمون منذ عصر الدولة الحديثة تحت اسم آمون-رع<sup>(١٢٥)</sup>.

#### ١١١ المعبودة ساتت Satis:

كانت ساتت إلهة للغضب والحب، كما كانت إلهة للحياة والرطوبة، فضلاً عن الفيضان والنيل، ويعني اسمها نائثة البذور، وقد تركزت عبادتها في جزيرة سهيل بأسوان، وعُبدت كذلك في إلفنتين حيث كونت مع خنوم وعنقت ثالوثاً، وأطلق عليها ابنة رع وسيدة مصر وأميرة الصعيد وسيدة إلفنتين وسيدة النوبة، وأصبحت منذ الدولة الحديثة تلقب بملكة الآلهة، وكانت تُصور على هيئة سيدة ترتدي غطاء رأس النسور، وتاج الصعيد الأبيض، تحيط به قرون ظبي، وتحمل سهماً ورمحاً، ومن ثم تصبح المقابل الجنوبي للإلهة نيت، وكان



يُصاحبها اللقب: *ساتت*، *سيدة إلفنتين*<sup>(١٢٦)</sup> *Stt nbt 3bw*

## ١٢١] عبادة وتقديس الملوك:

عُرِفَت عبادة الملوك المصريين وتقديسهم في النوبة، وربما كان الدافع من ورائها سياسياً، لتدعيم النفوذ المصري وتوطيده، كما أن العوامل المتعددة التي فرضتها الطبيعة المصرية حتمت قيام نظام للحكم يتمثل في وجود ملك مؤله على رأس السلطة في البلاد، واعتبر الملك وسيطاً بين الآلهة والناس، ولاسيما آلهة الطبيعة المصرية (الشمس والنيل) التي عدّها المصري مصدرراً لما يتمتع به من خير ورخاء، لأن الملك بزعامته لرعاياه يُمثل السلطة التي توجه الناس نحو استغلال إمكانيات الطبيعة المصرية، بكل ما فيها من خير ورخاء<sup>(١٢٧)</sup>. وكان الملك المؤله يتولى حراسة المملكة المصرية بالحملات العسكرية التي يقوم بها على بدو ليبيا والنوبة، ثم سيناء منذ عصر الدولة القديمة.

ولتوكيد هذه الحراسة كان الفرعون منذ بداية العصر الثيني حتى نهاية العصر الفرعوني، يقوم عند تتويجه بطقس يطوف فيه حول جدار (لعله الجدار الأبيض) الذي أقامه مينا عندما شيد منف، وكان هذا الطقس الذي أطلق عليه المصريون الطواف حول الجدار يكرر من حين لآخر، ولعله يرمز بذلك إلى حيوية الملك وقوته وقدرته على حراسة البلاد والدفاع عنها<sup>(١٢٨)</sup>. وسواء أكان الدافع من وراء بثها سياسياً أو دينياً، فقد أكدت شواهد الآثار المتعددة حدوث الأمر بما لا يدع مجالاً للخلاف.

وقد تأكد لنا حتى الآن عبادة -أو على الأقل تقديس- ثمانية ملوك من مصر على الأقل، وهم سنوسرت الثالث وزوجته الملكة مرت -سجر، وتحتمس الثالث، وأمنحتب الثالث، وزوجته الملكة تي، وتوت عنخ آمون، ورعمسيس الثاني، وزوجته الملكة نفرتاري. وقد بدأت هذه العبادة ومظاهر التقديس منذ عصر تحتمس الثالث، حيث عبد سنوسرت الثالث بصفته الإله الحامي للنوبة. وربما أن تحتمس الثالث لم يكن مبتدعاً في تأليهه سنوسرت الثالث وإنما كان متبعاً، وذلك اعتماداً على شواهد أثرية تتمثل في أختام تحمل اسم سنوسرت الثالث، عُثِرَ عليها في أوروبارتي -على مبعدة ٢٠ كيلومتراً شمالي سمنة، ٥٠ كيلو متراً جنوبي وادي حلفا- وترجع إلى ما بعد عصر الأسرة الثانية عشرة، ومن ثم فقد ذهب رايزنر إلى أن تحتمس الثالث لم يعمل أكثر من إحياء الماضي القديم<sup>(١٢٩)</sup>. وعموماً فقد عبد سنوسرت الثالث في عمدا والليسية وجبل الشمس وبوهن وجبل دوشا (الدويشات).



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

وكان في سمنة معبد للإله ددون معبودها المحلي، كما كان في قمة معبد آخر للإله خنوم معبود إلفنتين، وفي هذين المعبدتين كانت تُقدم القرابين للملكة مرت سجر العظيمة، زوجة سنوسرت الثالث، أثناء الاحتفال بعيد يسمى "شد وثاق المتوحشين"، وذلك خلال عصر الأسرة الثانية عشرة (١٩٨٥-١٧٩٥ ق.م). وقد بقيت ذكرى أعياد معبدي سمنة وقمة إلى أزمان تالية، حتى أن تحتمس الثالث عندما أعاد تشييد معبد سلفه، بعد مضي ما يقرب من ثلاث مئة وسبعين عاماً تقريباً، أحيا الاحتفال بها مع أعياد أخرى، يُضاف إلى ذلك أن قام بتأليه سلفه سنوسرت الثالث، وجعله ثالث أعضاء ثالث آلهة الحدود الذي أسسه، ليشمل المعبودات ددون وخنوم وسنوسرت. وتأكيداً لذلك فإننا نجد منظرًا على أحد جدران معبد عمدا يمثل تحتمس الثالث وهو يتعبد للإله سنوسرت الثالث، وكذا نفس المنظر نجده مصوراً على جدران معبد بوهن (وادي حلفا).

ولم يكن تقديس سنوسرت الثالث وعبادته أمراً قاصراً على الملوك، وإنما تعداهم إلى عامة الشعب، فقد عُثر في توشكى على نقش صخري بارز، ويصاحب النقش منظر بديع يمثل أسرة مكونة من رجل يدعى سني وزوجته وأولادهم وقد أحضروا قرباناً لعدد من الآلهة، كان من بينها سنوسرت الثالث. وكانت الليسية - على مبعده كيلومتر واحد من أبريم - أحد أشهر مراكز عبادة سنوسرت الثالث، حيث كان بها معبد منحوت في الصخر شيده تحتمس الثالث من أجل عبادة ثالث مكون من المعبودات حور وددون وسنوسرت الثالث، وهو معبد صغير مكون من حجرة واحدة بها كوة صغيرة، وكانت واجهته مزينة بالنقوش، فضلاً عن لوح يؤرخ ببناء المعبد بالعام الثالث والأربعين من حكم تحتمس الثالث، وقد منحته مصر لإيطاليا، وهو معروض حالياً في متحف تورين<sup>(١٣٠)</sup>.

وعُبد تحتمس الثالث بصفته معبود سرّة *Th-ht* (تح - نخت). كما خطأ أمنتب الثالث خطوة أخرى، فهو لم يشيد معابد ضخمة في سدنجا وصولب فحسب، ولكن الصورة الحية له، إنما كانت تؤدي لها طقوس العبادة في صولب، كما كانت تؤدي لزوجته الملكة تي في سدنجا، وقد وُصف في صولب بأنه سيد أرض القوس، الأمر الذي يشير إلى أنه لم يكن يُنظر إليه كمجرد إله محلي، ولكن باعتباره الإله الحامي لكل النوبة. وكذلك فقد عُبد توت عنخ آمون في فرس.

وكان رعمسيس الثاني المعبود الرئيس في عكشة - بين فرس ووادي حلفا - وهناك في



سرة معبد مخصص لصورته الحية في النوبة، وأطلق عليه فيه اللقب *وسر ماعت رع*، *سام* في قوته. وعُبد رعمسيس الثاني أيضاً في جرف حسين كواحد من آلهة المعبد (ثالوث منف المكون من بتاح وسخمت ونفرتوم)، وعُبد أيضاً في معبد وادي السبع (مع آمون ورع حور آختي)، وفي أبي سمبل أقام أربعة تماثيل -بمعبده الكبير- (لآمون وبتاح ورعمسيس الثاني المؤله ورع حور آختي) ليكون على قدم المساواة مع آلهة مصر العظماء، وتؤدي له الشعائر معهم، هذا فضلاً عن أنه إنما أراد في معبد أبي سمبل - وكذا في معبدي السبع وجرف حسين - أن يأخذ مكان المعبود خونسو في ثالوث آمون وموت وخونسو ليصبح أيضاً ابناً لكبير المعبودات آمون وللمعبودة موت<sup>(١٣١)</sup>.

#### الخاتمة:

هكذا تحقق لفراعنة الدولة الحديثة ما كانوا يتطلعون إليه، ونجحوا إلى حد بعيد في تمصير إقليم النوبة وذلك بعد ما كانوا قد أدركوا أن التهديد الذي تفرضه النوبة على مصر كان في مطلع عصر الدولة الحديثة بمثابة الأمر الواقع، وأن ثروة إقليم النوبة تمكنهم من تدعيم سلطتهم وتقوية مركزهم أمام جيرانهم، وأنهم لابد وأن يسعوا إلى ضم النوبة ودمجها مع الأقاليم المصرية، وهو الأمر الذي خططوا له ونفذوه بكل ما يملكون من خبرات وتجارب سياسية وحنكة إدارية، وتم للفراعنة، كما أكدت الشواهد الأثرية المتعددة وبما لا يدع مجالاً للشك، بسط النفوذ المصري على النوبة وتمصيرها، على الرغم من أنه يصعب القول الآن إلى أي حد أمكنهم تمصير البدو الرحل بالإقليم.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المراجع العربية والمعربة:

- إرمان، أدولف: ديانة مصر القديمة، ترجمة ومراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر والدكتور محمد أنور شكري، القاهرة ١٩٥٢م.
- إمري، وولتر: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة خندوسة، مراجعة الدكتور عبد المنعم أبوبكر، القاهرة، ١٩٧٠م.
- بسطا، منير: أهم المعالم الأثرية بمنطقة سقارة وميت رهينة، القاهرة، ١٩٧٨م.
- بكر، محمد إبراهيم: تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٨٣م.
- أبو بكر، عبد المنعم وآخرون: بلاد النوبة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- تشرني، ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة الدكتور أحمد قدرى، مراجعة الدكتور محمود ماهر طه، القاهرة، ١٩٨٧م.
- توفيق، سيد: أهم آثار الأقصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ديماس، فرانسوا: آلهة مصر، ترجمة: زكي سوس، القاهرة، ١٩٩٨م.
- السعدي، حسن محمد محي الدين: حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، الإسكندرية ١٩٩١م.
- سيد، عبدالمنعم عبدالحليم: البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- سيد، عبدالمنعم عبدالحليم: حضارة مصر الفرعونية، الجزء الأول، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- شريف، نجم الدين محمد: "النوبة قبل نباتا (٣١٠٠ - ٧٥٠ ق.م)"، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، اليونسكو.
- عبدالحليم، نبيلة محمد: مصر القديمة، تاريخها وحضارتها، الإسكندرية، ١٩٧٧م.
- عبدالعال، سعاد: المجتمع المصري القديم، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- فخري، أحمد: الصحراوات المصرية، الجزء الثاني، واحات البحرية والفرافرة، ترجمة



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

- الدكتور جاب الله علي جاب الله، مراجعة الدكتور شوقي عبد القوي عثمان، القاهرة، ١٩٩٩م.
- لوكاس، ألفريد: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى إسكندر ومحمد زكريا غنيم، مراجعة عبد الحميد أحمد زايد، القاهرة، د.ت.
- مهران، إبراهيم محمد بيومي: مصر في عصر سنوسرت الثالث - دراسة تاريخية حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١م.
- مهران، إبراهيم محمد بيومي: "أشعة السفن والمراكب في مصر القديمة"، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٨م.
- مهران، أحمد ضياء الدين محمد بيومي: مصر وعلاقتها الدولية منذ عصر رمسيس الرابع وحتى نهاية الأسرة العشرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- مهران، آمال محمد بيومي: الذهب واستخداماته في مصر القديمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١م.
- مهران، محمد بيومي: الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- مهران، محمد بيومي: المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- مهران، محمد بيومي: تاريخ السودان القديم، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- مهران، محمد بيومي: المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- نظير، وليم: الثروة النباتية عند قدماء المصريين، القاهرة، ١٩٦٨م.
- نور الدين، عبد الحلیم: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- نور الدين، عبد الحلیم: اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

#### ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Arkell, A.J., *A History of the Sudan*, London 1961.
- Davies, W.V., *Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam*, British Museum, London 1990.





- Davis, N. De G., *The Tomb of Huy, Viceroy of Nubia in the Reign of Tutankhamun (No. 40) and with explanatory text by Alan H. Gardiner*, London 1926.
- El-Gayar, E. and Jones, M.P., "A Possible Source of Copper One Fragment Found at the Old Kingdom Town of Buhen", *JEA*, 75, (1989), 31- 40.
- Emery, W., *Egypt in Nubia*, London 1965.
- Frankfort, H., *Ancient Egyptian Religion*, New York 1961.
- Gardiner, A.H., "An Ancient List of the Fortress of Nubia", *JEA*, 3, (1916), pp.185- 192.
- Gohary, J., *Guide to the Nubian Monuments in Lake Nasser*, The American University in Cairo 1998.
- Hawass, Z.A., *The Mysteries of Abu Simbel: Ramesses II and the Temples of the Rising Sun*, The American University in Cairo 2000.
- Jones, D., *Boat*, *British Museum Publications*, London 1995.
- Kemp, B., *Ancient Egypt, A Social History*, Cambridge 1983.
- Kozloff, A. P. and Others, *Aménophis III- Le Pharaon- Soleil*, Paris 1993.
- Landsröm, B., *Ships of the Pharaohs*, Stockholm 1970.
- Noblecourt, C.D. et Kuetz C., *Le Petit Temple D' Abou Simbel*, I, II, Le Caire 1968.
- Simpson, W.K., Heka-Nefer, *Publications of the Pennsylvania–Yale Expedition to Egypt*, No. 1, New Haven and Philadelphia 1963.
- Trigger, B.G., *History and Settlement in Lower Nubia*, New Haven 1965
- Trigger, B.G., *History and Settlement, Ägypten und Nubien*, Berlin 1941
- Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, London 1976.
- Vercoutter, J., "The Gold of Kush", *Kush* 7(1959), 120-53.
- Wenig, S., "Nubien", *LÄ*, IV, (1982), 526-532.



## حواشي البحث

- (١) يقع جبل الشيخ سليمان غربي النيل عند كور، الواقعة جنوبي بوهن. وقد نُقل النقش المذكور إلى متحف الخرطوم الجديد حيث يعرض في حديقته المتحفية. راجع: أحمد ضياء الدين محمد بيومي مهران، مصر وعلاقتها الدولية منذ عصر رعمسيس الرابع حتى نهاية الأسرة العشرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٧٩.
- (٢) Wenig, S., "Nubien", *LÄ, IV*, (1982), p.527.
- (٣) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، القاهرة ١٩٨٣، ص٣١-٣٢: أحمد ضياء الدين محمد بيومي مهران، "مصر وعلاقتها الدولية"، ص٧٩.
- (٤) Trigger, B.G., *History and Settlement in Lower Nubia*, New Haven 1965, p.114.
- (٥) وولتر إمري، مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة هندوسة، مراجعة الدكتور عبدالمنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٤٥-١٦٠.
- (٦) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.114.
- (٧) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، الإسكندرية ١٩٩٤، ص٣١٠.
- (٨) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.115.
- (٩) Simpson, W.K., Heka-Nefer, *Publications of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt*, No. 1, New Haven and Philadelphia 1963, p.11.
- (١٠) Davis, N. De G., *The Tomb of Huy, Viceroy of Nubia in the Reign of Tutankhamun* (No. 40) and with explanatory text by Alan H. Gardiner, London 1926, pp.23-25.
- (١١) Kozloff, A. P. and Others, *Aménophis III- Le Pharaon- Soleil*, Paris 1993, p.230.
- (١٢) تقع كوبان وحصنها على الضفة الشرقية للنيل، على مبعده حوالي ١٠٨ كيلو متراً جنوبي مدينة أسوان، ويُعرف حصن كوبان باسم حصن باكي، وقد كشف عنه وولتر إمري في عام ١٩٣٠ م، وهو يشبه حصن بوهن إلى حد بعيد، وكان الحصن قد غرق تحت مياه خزان أسوان. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، الإسكندرية ١٩٩٩، ص٣٥٥-٣٥٦.
- (١٣) عنيبة وهي ميعام القديمة عاصمة النوبة السفلى، تقع على مبعده حوالي ٢٢٤ كيلو متراً جنوبي الجندل الأول. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص٣٤٨-٣٤٩.
- (١٤) Trigger, B.G., *History and Settlement, Ägypten und Nubien*, Berlin 1941, p.159.
- (١٥) كان في سمنة معبد للمعبود ددون، وهو المعبود المحلي لهذه الجهة، كما كان هناك معبد آخر في قمة للمعبود خنوم معبود إلفنتين. وفي هذين المعبدتين احتفل بعيد عظيم ابتهاجاً بالانتصار على السود، وكان يسمى عيد طرد السود، وكان يحتفل بعده بعيد آخر يسمى شد وثاق المتوحشين، وفي خلاله كانت

تقدم القرابين للملكة مرت سجر العظيمة زوجة سنوسرت الثالث. وهذه الأعياد قد بقي ذكرها إلى أزمان بعيدة، حتى أن تحتتمس الثالث (١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م) عندما أعاد بناء معبد سلفه بعد مضي حوالي ثلاثمائة وسبعين عاماً تقريباً أحيا الاحتفال بها مع أعياد أخرى. يضاف إلى ذلك أنه قد أله سنوسرت الثالث وجعله ثالث آلهة الحدود، والتي ضمت ددون معبود سمنة وخنوم معبود إلفنتين وسنوسرت الثالث. ولم تكن عبادة سنوسرت قاصرة على الملوك فقط بل تعدتهم إلى عامة الشعب. راجع: إبراهيم محمد بيومي مهران، مصر في عصر سنوسرت الثالث - دراسة تاريخية حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية (٢٠٠١)، ص ٤٩.

Simpson, W.K., *Expedition to Egypt*, pp.36- 43. (١٦)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.117. (١٧)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.117. (١٨)

محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، الإسكندرية ١٩٩٤، ص ٣١١. (١٩)

نجم الدين محمد شريف، "النوبة قبل نباتا (٣١٠٠-٧٥٠ ق.م)"، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، اليونيسكو، ص ٢٧٦- ٢٧٩. (٢٠)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.118. (٢١)

عشر الأثري إدوارد كويبل Quibell, E. عام ١٨٩٦م وأثناء عمله في منطقة الرميوم بالبر الغربي بطيبة على عدد من البرديات في مقبرة أسفل المعبد، وكان من بينها بردية مدون عليها قائمة بأسماء الحصون المصرية التي تمتد من سمنة عند الجندل الثاني حتى جبل السلسلة شمالي إلفنتين بحوالي ٧٠كم. وهذه القلاع هي: قلعة سمنة الجنوبي، قلعة سمنة الغربية، قلعة قمة، قلعة أورونارتي، قلعة شلفك، قلعة ميرجيسا، قلعة بوهن، قلعة بوهن الثانية، قلعة سرّة، قلعة فرس، قلعة ميعام، قلعة باكي، قلعة سنموت، قلعة أبو.

cf., Gardiner, A.H., "An Ancient List of the Fortress of Nubia", *JEA*, 3, (1916), pp. 185- 192.

وكذا: إبراهيم مهران، "مصر في عصر سنوسرت الثالث"، ص ١١٧- ١١٨.

Trigger, B.G., *History and Settlement*, pp.189-192. (٢٣)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.109. (٢٤)

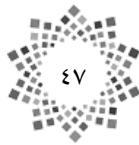
Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, London 1976, p.120. (٢٥)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.122. (٢٦)

Trigger, B.G., *History and settlement*, p.109. (٢٧)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.193. (٢٨)

Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.193. (٢٩)



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

- (٣٠) Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, p.123.
- (٣١) عبد المنعم أبو بكر وآخرون، بلاد النوبة، القاهرة ١٩٧٠، ص ٥٢- ٥٣.
- (٣٢) Davies, W.V., *Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam*, British Museum, London 1990, p.31 ff.
- (٣٣) عن المعبد الصغير لرعمسيس الثاني في أبي سمبل تفصيلاً، قبل وبعد عملية الإنقاذ التي تمت تحت مظلة اليونيسكو:
- cf., Noblecourt, C.D. et Kuetz C., *Le Petit Temple D' Abou Simbel*, I, II, Le Caire 1968.
- وعن معبدي أبي سمبل الصخريين:
- Hawass, Z.A., *The Mysteries of Abu Simbel: Ramesses II and the Temples of the Rising Sun*, The American University in Cairo 2000.
- (٣٤) نبيلة محمد عبدالحليم، مصر القديمة، تاريخها وحضارتها، الإسكندرية ١٩٧٧، ص ٢٠٦.
- (٣٥) Emery, W., *Egypt in Nubia*, London 1965, p.194-196.
- وكذا: عبدالحليم نور الدين، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٠٦.
- (٣٦) Emery, W., *Egypt in Nubia*, pp.200-202.
- وأيضاً: أحمد ضياء الدين محمد بيومي مهران، "مصر وعلاقتها الدولية"، ص ٨١.
- (٣٧) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.168.
- (٣٨) Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, p.125.
- (٣٩) وولتر إمري، مصر وبلاد النوبة، ص ٢١٠- ٢١١.
- (٤٠) Kemp, B., *Ancient Egypt, A Social History*, Cambridge 1983.
- (٤١) عمارة غرب، وتقع على مبعده ١٨٠ كيلومتراً تقريباً جنوبي وادي حلفا، وكانت عاصمة للنوبة العليا كوش في عصر الدولة الحديثة. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، الإسكندرية ١٩٩٤، ص ٣٤٧-٣٤٨.
- (٤٢) صاي أو ساي: تقع على مبعده ١٩٠ كيلومتراً جنوبي بوهن، وعثر فيها أيضاً على آثار شيلية وأشولية. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص ٣٣٧.
- (٤٣) سدنجا أو سدنجة أو سدنقة: تقع على مبعده ٢٠ كيلومتراً شمالي صولب، و ١٠٩ كيلومتراً شمالي الجندل الثالث، و ٢٥ كيلومتراً جنوبي وادي حلفا. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص ٣٣٨.
- (٤٤) صولب أو صُلب: تقع على مبعده ٢٢٠ كيلومتراً جنوبي وادي حلفا. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص ٣٤٤-٣٤٥.



- (٤٥) سيسبي: تقع جنوبي صولب مباشرة، على الضفة الغربية للنهر أيضاً. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٤٦) الكوة الحالية، على الضفة الشرقية للنيل، تقع على مبعده حوالي ٤ كيلومترات جنوبي دنقلة الحديثة (دنقلة العرضي). راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص ٣٥٠.
- (٤٧) تقع عند سفح جبل البرقل، على مبعده حوالي ١٠٣٥ كيلومتراً جنوبي وادي حلفا، وكانت عاصمة لمملكة نباتا التي عُرفت بالأسرة الخامسة والعشرين. راجع: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى ٢، ص ٣١١-٣١٤.
- (٤٨) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٧٦.
- (٤٩) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٧٧.
- (٥٠) عن خصائص نظام الملكية المؤلفة: راجع: عبد المنعم عبد الحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، ص ٣٥-٤٢.
- (٥١) عبد المنعم عبد الحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، ص ٣٥.
- (٥٢) عن مقابر الأشراف والنبلاء بطيبة: راجع: سيد توفيق، أهم آثار الأقصر الفرعونية، القاهرة ١٩٨٢، ص ٣٠٣-٣٧٧.
- (٥٣) ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة الدكتور أحمد قدرى، مراجعة الدكتور محمود ماهر طه، القاهرة ١٩٨٧، ص ١٩٢.
- (٥٤) Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, p.129.
- (٥٥) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٥.
- (٥٦) Arkell, A.J., *A History of the Sudan*, London 1961, p.104.
- (٥٧) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p. 210.
- (٥٨) عن الذهب ومناطقه واستخداماته في مصر القديمة، راجع: آمال محمد بيومي مهران، الذهب واستخداماته في مصر القديمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية ٢٠٠١.
- (٥٩) Weing, S., "Nubien", *LÄ*, 4, (1982), p.528.
- (٦٠) Weing, S., "Nubien", p.205.
- (٦١) El-Gayar, E. and Jones, M. P., "A Possible Source of Copper One Fragment Found at the Old Kingdom Town of Buhen", *JEA*, 75, (1989), pp.31- 40.
- وأيضاً: محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٦-٣١٧.
- (٦٢) نجم الدين محمد شريف، "النوبة قبل نباتا"، ص ٢٧٨.
- (٦٣) وادي العلاقي: يقع في الصحراء الشرقية، في مواجهة المسافة ما بين الجندل الثاني والثاني. وعن الطرق والدروب والنشاط المصري القديم بمناطق الصحراء الشرقية والبحر الأحمر، راجع: عبد المنعم عبد الحليم



د. إبراهيم محمد بيومي مهران

- سيد، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، الإسكندرية ١٩٩٣.
- Vercoutter, J., "The Gold of Kush", *JEA*, 7, (1959), p.140. (٦٤)
- Vercoutter, J., "The Gold of Kush", p.142. (٦٥)
- Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, p.114. (٦٦)
- Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.188. (٦٧)
- سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٠، ص٣٨٦. (٦٨)
- Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, p. 114. (٦٩)
- Vercoutter, J., "The Gold of Kush", p.140; Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, (٧٠)  
p.114.
- وكان الدكتور أحمد فخري عندما زار المنطقة قبل ذلك، في ديسمبر ١٩٣٣ قد وجد أن مياه البئر كانت ما تزال صالحة للاستعمال وقتذاك. راجع: أحمد فخري، الصحراوات المصرية، الجزء الثاني، واحات البحرية والفرافرة، ترجمة: الدكتور جاب الله علي جاب الله، مراجعة: الدكتور شوقي عبدالقوي عثمان، القاهرة ١٩٩٩، ص١٦.
- محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص٩٧؛ محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، (٧١)  
ص٣١٨.
- محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص٣١٨. (٧٢)
- El-Gayar, E. and Jones, M. P., *A Possible Source of Copper*, p.31. (٧٣)
- عن السفن التي عرفت في مصر القديمة وأنواعها وطرق صنعها واستخداماتها، راجع: Landsröm, B., (٧٤)  
*Ships of the Pharaohs*, Stockholm 1970; Jones, D., *Boat*, *British Museum Publications*, London 1995. وعن أشربة السفن راجع: إبراهيم محمد بيومي مهران، أشربة السفن والمراكب في مصر القديمة، كلية الآداب - جامعة أسيوط ٢٠١٨م.
- إيكن Iken: هي المحطة التجارية النيلية في عصر الدولتين القديمة والوسطى، وتقع جنوبي بوهن، وعلى (٧٥)  
مبعدة ٤٠ كيلومتراً شمالي سمنة، و٢٠ كيلومتراً شمالي أورونارتي، كان بها حصن طول سور ٩٠٠ متراً، ويحيط بالمدينة التي تقع على الضفة الغربية للنيل أمام جزيرة ماينارتي عند قمة الجندل الثاني، ومن المعروف أن إيكن هي حصن ميرجيسا الشهير. راجع: نجم الدين محمد شريف، "النوبة قبل نباتا"، ص٤١٨-٤١٩.
- محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص٣٢٠. (٧٦)
- Arkell, A.J., *A History of the Sudan*, p.104. (٧٧)
- Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.119. (٧٨)
- عن الشادوف والأدوات الزراعية الأخرى التي استخدمها المزارعون في مصر القديمة راجع: ألفريد (٧٩)



- لوكاس، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى إسكندر ومحمد زكريا غنيم، مراجعة عبدالحميد أحمد زايد، القاهرة؛ ولیم نظیر، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، القاهرة ١٩٦٨، ص ٦٠-٧٠. وعن طبقة الفلاحين في المجتمع المصري القديم راجع: محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ١٠٥-١١١.
- (٨٠) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.130.
- وأيضاً: سعاد عبدالعال، المجتمع المصري القديم، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٤٣.
- (٨١) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.130.
- (٨٢) Arkell, A.J., *History of the Sudan*, p.104.
- (٨٣) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.199.
- (٨٤) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.130.
- (٨٥) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.130.
- (٨٦) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٤٠.
- (٨٧) عبد المنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، الجزء الأول، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ١١٥.
- (٨٨) ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، ص ١٩٠-١٩١.
- (٨٩) عن حملات سنوسرت الثالث العسكرية إلى إقليم النوبة، وأنشطته المتنوعة فيه راجع: إبراهيم مهران، "مصر في عصر سنوسرت الثالث"، ص ٩٠-١٢٦.
- (٩٠) إبراهيم مهران، مصر في عصر سنوسرت الثالث، ص ١٩١-١٩٢.
- (٩١) Emery, W.B., *Egypt in Nubia*, London 1965, p.182.
- (٩٢) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.189.
- (٩٣) ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، ص ١٩٢.
- (٩٤) عن ثالوث طيبة والمنشآت الأثرية التي خُصصت له بطيبة راجع: سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، ص ١١٤-١٥٤.
- (٩٥) أصحاب هذه النظرية هم كهنة مدينة الأشمونين (بالقرب من المنيا). وتعتبر نظريتهم عن مظاهر الطبيعة المصرية، مثل نظرية هليوبوليس، وقد جعلت النظرية إله الشمس رع تالياً في الخلق للإله آمون (الهواء في النظرية)، وقد اكتسب ثامون الأشمونين أهمية كبيرة في عصر الإمبراطورية بسبب ارتفاع شأن آمون واتخاذها إلهاً رسمياً للإمبراطورية لدرجة أنه في العصور التالية ساد الاعتقاد بأن طيبة هي موطن الثامون وليست الأشمونين. راجع: عبد المنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، ص ١٧٩-١٨٠؛ محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٠-٣١٤.
- (٩٦) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٠.
- (٩٧) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٢٣.

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

(٩٨) يرى فرانكفورت أن المزج بين آمون ورع لم يكن بسبب طبيعة آمون كإله للهواء، وأن القوة الخلاقة في الهواء والشمس واحدة، وأن رفعه إلى درجة الإله الأكبر أساسها أنه لا توجد بالكون قوة تباري مزج الشمس بالهواء.

cf., Frankfort, H., Ancient Egyptian Religion, New York 1961, p. 226.

(٩٩) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٧-٣٧٧.

(١٠٠) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٠.

(١٠١) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٣؛ ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، ص ٢٣٣؛ عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٩.

(١٠٢) كان العجل أبيس يسمى في اللغة المصرية القديمة حب، واعتقد المصريون أنه يصبح أوزير بعد وفاته، لذلك سموه بعد وفاته/وزير- حب، وسماه الإغريق القدماء أوسورايبس، ولما شاعت عبادة الإله الإغريقي سيرابيس في مصر بعد غزو القدماء البطالمة اختلطت عبادة الإلهين، وأصبحت يعبدان في معبد واحد سُمي السيرابيوم. راجع: منير بسطا، أهم المعالم الأثرية بمنطقة سقارة وميت رهينة، القاهرة ١٩٧٨، ص ١١٧.

(١٠٣) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٣.

(١٠٤) فرانسوا ديماس، آلهة مصر، ترجمة: زكي سوس، القاهرة ١٩٩٨، ص ٧٢-٧٨؛ محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣٤٩-٢٦٢.

(١٠٥) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٨.

(١٠٦) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤١.

(١٠٧) فرانسوا ديماس، آلهة مصر، ص ٧٢؛ محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٤١١-٤١٤.

(١٠٨) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٨.

(١٠٩) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤١.

(١١٠) حسن محمد محي الدين السعدي، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، الإسكندرية ١٩٩١، ص ٧٦.

(١١١) أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة ومراجعة الدكتور عبدالمنعم أبو بكر والدكتور محمد أنور شكري، القاهرة ١٩٥٢، ص ٦٧-٦٨؛ محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣٧٨-٣٨٠.

(١١٢) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٩.

(١١٣) أرنسنوفيس *Arensnuphis* اسم منقول عن النطق الإغريقي، ولأول مرة يرد الاسم بالكتابة الهيروغليفية في زمن الملك المروي أرناخ - أماني *Arnekhamani* وعلى أحد معابد جزيرة فيلة في زمن الملك بطليموس الرابع، وفي دكة في عصر الملك أرجمينيس. يعتقد أن أصله مروي لارتباطه الدائم بالنوبة وشمال السودان. وكان يُصور في هيئة إنسان بتاج مزين بإفريز من الحيات، تتوجه ثلاث ريشات طويلات، ويُصور برداء طويل وهو ممسك بيده اليسرى غزالاً وفي اليمنى زهور. راجع: محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٨-٢٣٩.





- (١١٤) إبراهيم مهران، مصر في عصر سنوسرت الثالث، ص ٥٠.
- (١١٥) محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، ص ٢٣٩.
- (١١٦) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٣؛ عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٢.
- (١١٧) محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ٣٣٤ - ٣٣٨.
- (١١٨) عُرف حور- با- غرد في الحضارة اليونانية الرومانية باسم هاربيوكراتيس (حربوقراط)، وهو في ثالوث الإسكندرية المكون سيرابيس- إيزيس- هاربيوكراتيس. راجع: عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٢.
- (١١٩) فرانسوا ديماس، آلهة مصر، ص ٣٧-٤٣؛ عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٢-٢٤٣.
- (١٢٠) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣٨٠-٣٨٢.
- (١٢١) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٣.
- (١٢٢) كان مركز عبادته في هليوبوليس منذ القدم حيث يرأس التاسوع المكون منه ومن شو وتفنوت وجب ونوت وأوزيريس وإيزيس وست ونفتيس. راجع: ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، ص ٢٤١.
- (١٢٣) محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣٦٢-٣٦٧.
- (١٢٤) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٣.
- (١٢٥) ياروسلاف تشرنى، الديانة المصرية القديمة، ص ٢٤١.
- (١٢٦) عبدالحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٢٤٤.
- (١٢٧) عبد المنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، الجزء الأول، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ٣٥.
- (١٢٨) عبد المنعم عبدالحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية، ص ٣٨.
- (١٢٩) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.203; Arkell, A.J., *History of the Sudan*, p.105.
- وأيضاً: محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٤.
- (١٣٠) Gohary, J., *Guide to the Nubian Monuments in Lake Nasser*, The American University in Cairo 1998, p.12.
- وأيضاً: إبراهيم مهران، مصر في عصر سنوسرت الثالث، ص ٤٩-٥٠.
- (١٣١) Trigger, B.G., *History and Settlement*, p.118.
- وأيضاً: محمد بيومي مهران، تاريخ السودان القديم، ص ٣١٥.